مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٤)، العدد (٤)، ص ص ١٨٧٥-١٩٥٤، (شوال ١٤٤٢ هـ/ مايو ٢٠٢١)

معركة البحيرة بين المرابطين والموحدين سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م وأثرها على مسار الدعوة الموحدية

د. خالد بن علي النجمي
أستاذ تاريخ المغرب والأندلس المساعد - قسم التاريخ والحضارة - كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث: قاد محمد بن تومرت بنفسه العمليات الحربية ضد الدولة المرابطية، وكلها جرت في جبال درن المنيعة لم تتخطاها حتى عام ٥٢٤هـ/١١٣٠م، حيث نزلت قوات الموحدين الثائرة إلى سهل مراكش حاضرة المرابطين، قصد الهجوم على المدينة، في ظل قيادة جديدة نصبها ابن تومرت لتأدية المهمة نيابة عنه.

وتعتبر معركة البحيرة التي دارت عند أبواب مراكش، وما كان من انكسار الموحدين فيها، ومقتل عدد من رجالات الصف الأول في حركة ابن تومرت، ثم وفاته هو نفسه بعد ثلاثة أشهر، حدثان فاصلان في مسار الدعوة الموحدية على المستويين السياسي المتعلق بتجاوز النزاعات القبلية، وانتخاب قيادة جديدة، والحفاظ على وحدة الثورة، واستعادة الثقة في مبادئ داعيها وأفكاره العقدية، ثم على المستوى العسكري المتمثل في متابعة الصراع مع الدولة المرابطية، بعد رص الصفوف، وامتصاص أثر الهزيمة في البحيرة.

ولقد كان من الممكن أن تؤدي أزمتي الهزيمة والوفاة إلى تراجع زخم الحركة الموحدية، فتغدو ثورة عابرة لم تخلف أثراً، ولم تغير وضعا، لكن كيف تجاوز الموحدون الأزمتين، وتابعوا مسيرتهم، آخذين العبرة من نكسة البحيرة ؟.

الكلمات المفتاحية: محمد بن تومرت/الدعوة الموحدية/الموحدين/معركة البحيرة/التمييز/أبواب مراكش/عبدالمؤمن بن علي/جبال درن/ الخلافة الموحدية.

مقدمة :

ظهرت دولة المرابطين (٤٥١ـ٥٤١هـ/١٠٥٩ـ١١٤٧م) [١] بالقرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وشمل نفوذها كامل المغرب الأقصى وديار الأندلس، واستمرت قائمة حتى أطاح الموحدون بها سنة ٥٤١هـ/١١٤٧م بدخول حاضرتهم مدينة مركش[٢].

---

(١) يعود أصل المرابطين إلى لمتونة من قبائل صنهاجة البربرية، كان لعبدالله بن ياسين الجزولي الدور الأكبر في تأسيس حركة المرابطين بالقرن الخامس الهجري، وتبنيها مشروع إصلاح ديني وسياسي، ولكن يعتبر يوسف بن تاشفين اللمتوني هو المؤسس الحقيقي لدولة المرابطين التي عرفت أيضاً بدولة الملثمين ودولة لمتونة، وقد أقام ابن تاشفين دولة ضمت بلاد المغرب والأندلس، واتبعت المذهب المالكي، واتخذت أغمات ثم مراكش عاصمة لها، وقد فتحت هذه الدولة صفحة جديدة في تاريخ المغرب والأندلس، قبل سقوطها على أيدي الموحدين سنة ٥٤١هـ/١١٤٧م. وللاستزادة عن المرابطين ودولتهم ينظر: البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (جزء من كتاب المسالك والممالك) ص ١٦٤ ـ ١٧٠ ؛ عبدالواحد المراكشي، المعجب، ص١٤٧ ـ ٢٤١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب (قطعة من تاريخ المرابطين) جـ٤، ص ٧ ـ ١٠٨ ؛ مجهول، الحلل الموشية، ص١٧ ـ ١٤٢ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ١٥١ ـ ٢١٦ ؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص١٨٣ ـ ٢٣٣ ؛ سعدون عباس نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ص١١ ـ ٣١].

(٢) مراكش Marraguex : أعظم مدن المغرب الأقصى وأجلّها، تحوطها جبال الأطلس الكبير، اختطها يوسف بن تاشفين سنة ٤٧٠ هـ/١٠٧٧م واستمرت عاصمة للمرابطين والموحدين، ولكن بني مرين تحولوا عنها إلى فاس ففقدت المدينة مكانتها السياسية، وهي اليوم عاصمة الجنوب المغربي، ويطلق عليها "جوهرة الجنوب " و "المدينة الحمراء"، وتعتبر من المراكز التجارية المهمة، وتشتهر بالآثار التي تنتمي إلى العهدين الموحدي والسعدي. [الزهري، كتاب الجعرافية، ص١١٥، ١١٦ ؛ مجهول، الاستبصار، ص٢٠٨ ـ ٢١٠ ؛
=

وكان قيام دولة الموحدين (٥١٥ـ٦٦٨هـ/١١٢١ـ١٢٦٩م)[1] نتيجة حركة دينية إصلاحية، لكنها

سياسية في حقيقتها، تتخذ من الدين ستاراً يقيها الخطر، وآلة لإثارة مشاعر الناس وتوجيهها الوجهة التي تريد[1].

=

الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ١، ص٢٣٣ ـ ٢٣٥ ؛ جابر الفؤادي، سنتان في المغرب، ص٢٩ ـ ٣٢ ؛ الصديق بن العربي، كتاب المغرب، ص١٧٨ – ١٨٢ ؛ ابن الشرقي حصري أحمد، ارتسامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش، ص٣٨ -٤١].

(١) لم يكد ينعم المغرب الأقصى بالاستقرار في ظل دولة المرابطين حتى ظهرت حركة احتجاج من الناحية الفكرية ضد المذهب المالكي السائد بالمغرب، يقودها محمد بن تومرت الذي أخذ يستنقص أمراء المرابطين وينسبهم إلى الكفر، ويدعو إلى خلع طاعتهم، ثم أعلن الحرب ضدهم، وبعد وفاته خلفه تلميذه عبدالمؤمن بن علي الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة الموحدين بالمغرب والأندلس، بعد استيلائه على العاصمة المرابطية مراكش سنة ٥٤١هـ/١١٤٧م، وبه تبدأ سلسلة الحكم في هذه الدولة التي عرفت كذلك بالدولة المؤمنية نسبة إليه، وقد بلغت هذه الدولة أوج عظمتها واتساعها في القرن السادس الهجري، قبل سقوطها على أيدي بني مرين عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م. وللاستزادة عن الموحدين ودولتهم ينظر: عبدالواحد المراكشي، المعجب، ص ٢٤٥ ـ ٤١٩ ؛ مجهول، الحلل الموشية، ص١٠٣ ـ ١٧١ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢١٧ ـ ٣٤٣ ؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ٢٢٤ ـ ٢٦٨ ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص٣ ـ ٢٣ ؛ شاكر مصطفى، موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، جـ٢، ص٩٣٠ ـ ٩٣٣ ؛ مراجع عقيلة الغناى، قيام دولة الموحدين، ص٢٦٧ ـ ٣٣٣.

ولقد كان المغرب دائماً مهاداً خصبة لأولئك الذين يفكرون في إقامة صرح سياسي فوق أسس دينية، ولكن لم يكن من بين تلك الحركات التي ظهرت به حركة تضارع في اتساع نطاقها، تلك الثورة التي بدأها محمد ابن تومرت (٥١٥ــ٥٢٤هـ/١١٢١ــ١١٣٠م)[٢]، ثم واصل مسيرتها تلميذه عبدالمؤمن بن علي (٥٢٤ــــ٥٥٨هـ/١١٣٠ــ١١٦٣م)[٣] حيث أدت في أعوام قلائل إلى إنهاء حكم المرابطين، وتأسيس الدولة الموحدية في المغرب والأندلس[١].

=

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (العصر الثالث، القسم الثاني، ص٦١٥ ؛ عبدالواحد ذنون طه، دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، ص٢٠٥ ؛ حكمة الأوسي، الأدب الأندلسي في عصر الموحدين، ص٢٣.

(٢) محمد بن تومرت: أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت المصمودي البربري، المتلقب بالمهدي، وضع أسس الدولة الموحدية، وهو من قبيلة هرغة من المصامدة من قبائل جبل السوس بالمغرب الأقصى، وفي نسبه أقوال عدة، رحل إلى المشرق طلباً للعلم، ثار على المرابطين، وساق الكثير من الاتهامات لهم، من أهم مصنفاته كتاب " أعز مايطلب "، توفي بتينملل سنة ٥٢٤هـ /١١٣٠م. [البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص١١ ـ ٤٣ ؛ عبدالواحد المراكشي ؛ المعجب، ص ٢٤٥ـ٢٦٢ ؛ مجهول، الحلل الموشية، ص ١٠٣ ـ ١١٩ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٥، ص ٤٥ ـ ٥٥ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢١٧ ـ ٢٣٥ ؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٩ ؛ خير الدين الزركلي، الأعلام، جـ٦، ص ٢٢٨، ٢٢٩].

(٣) عبدالمؤمن بن علي: عبدالمؤمن بن علي الكومي الزناتي، التقى ابن تومرت ولازمه وآزره في دعوته، وشرعا في تأسيس حركتهم التي انتهت بالقضاء على الدولة المرابطية، أطلق عليه ابن تومرت لقب "سراج الموحدين"، وبعد وفاته سنة ٥٢٤ هـ / ١١٣٠ م، خلفه عبدالمؤمن الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الموحدية، كان عاقلاً حازماً شجاعاً، شديد العقاب

=

وقد شنَّ ابن تومرت حرباً دعائية على الدولة المرابطية قبل أن يرفع السلاح عليهم، فأتباعه برأيه هم من يوحدون الله حقاً، في حين أن المرابطين ومن شايعهم من الفقهاء مجسمة لله كفرة، يجب قتالهم، ونادى بذلك حتى انتشرت هذه الدعوى بين أهل المغرب في زمانه، ؛ فانضم إليه الكثير(٢).

ودعا ابن تومرت إلى وجوب مخالفة المرابطين، وتحريم الاقتداء بهم، حاضاً على جهادهم نظير كفرهم وتجسيمهم، وإنكارهم الحق، واستحلالهم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وتضييعهم للسنة، ومنعهم للفرائض على حسب رؤيته(٣) ؛

=

على الجرم الصغير، محباً للغزو والفتوح، توفي برباط سلا، سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م، ونقل إلى تينملل فدفن فيها إلى جانب قبر ابن تومرت. [البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص ١٦، ١٧، ٤٤ ـــ ٨٢ ؛ عبدالواحد المراكشي، المعجب، ص ٢٦٢ ـ ٢٧٦ ؛ ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، جـ١، ص ٤٣٤، ٤٣٥ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٣٥ ـــ ٢٦٩ ؛ ابن القاضي، جـــــــذوة الاقتباس، جـ٢، ص ٤٤٦، ٤٤٧ ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص ٧ ـ ١٣ ؛ ابن الخطيب، شرح رقم الحلل في نظم الدول، ص ١٩٩، ٢٠٠].

(١) Goldziher: Mohamed ibn Toumert.p.87

(٢) حسين مؤنس، عقد بولاية العهد لأبي عبدالله محمد المعروف بالخليفة الناصر الموحدي، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً) المجلد ١٢، الجزء ٢، ١٩٥٠م، ص١٤٩.

(٣) أعز ما يطلب، ص ٣٨٧، ٣٩٠ ـ ٣٩٤.

وذلك حتى يقروا بأنه "الإمام المهدي المعصوم"، ويميتوا المنكر، ويحييوا المعروف، ويزيلوا البدع[١].

لقد طعن ابن تومرت في عقيدة المرابطين السنية، التي أقامت صرحها على منهج أهل السنة والجماعة، وكفَّر أتباعها، وحرَّم طاعتهم، ووجه فريضة الجهاد نحوهم، بقتالهم قتال المسلمين للكفار[٢]، لأنهم برأيه "حلال الدم والحريم "[٣].

وبعد أن أعلن ابن تومرت لأتباعه سنة ٥١٥هـ/١١٢١م، أنه كما يدعي مهدي معصوم[٤]، شنَّ من معاقله الجبلية حرباً على الدولة المرابطية التي غدت بنظره ونظر أتباعه ـــ تبعاً لرؤيته ـــ دولة كفر ونفاق[٥]، وأهلها أهل زيغ، وباطل، وضلال[٦].

وعندما بلغ أمره الأمير علي بن يوسف (٥٠٠ـ٥٣٧ه/١١٠٦ـ١١٤٢م)[٧] حاول المرابطون بداية درء خطر هذه الحركة الناشئة بالمناظرة الفكرية، وعندما لم يجد

---

(١) عبدالواحد المراكشي، المعجب، ص ٢٦٠ ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص٦.

(٢) حمد بن صالح السحيباني، الاتجاه الفكري لدعوة ابن تومرت، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد ٦، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م، ص٥٦٦، ٥٦٧.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ٤، ص٣٧٩، ٣٨٢. (نقلاً عن اليسع الغافقي في كتابه المفقود المغرب عن سيرة ملوك المغرب).

(٤) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٢٦ ؛ مجهول، الحلل الموشية، ص ١٠٧، ١٠٨.

(٥) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٢٣، ٢٢٨.

(٦) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٢٨ ؛ اخلكان، وفيات الأعيان، جـ٥، ص٤٩، ٥٠.

(٧) علي بن يوسف: أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني الصنهاجي، ثاني حكام المرابطين، بويع له بعد وفاة أبيه سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م، وفي أيامه ظهر محمد بن تومرت بدعوته الموحدية، فعجز علي بن يوسف عن دفع فتنته، فاضطربت أموره، ومات غماً في =

ذلك الأسلوب نفعاً، أرسل المرابطون عدة حملات منيت بالهزيمة على أيدي الموحدين[١]، فضلاً عن بناء المراصد والحصون قرب العاصمة مراكش لسد الطرق التي ينزل منها أتباع ابن تومرت إلى المناطق السهلية المنخفضة[٢].

وقد نقل ابن تومرت بعد ثلاث سنين من بيعة أتباعه له، مركز نشاطه الدعوي والحربي ضد المرابطين، إذا انتقل سنة ٥١٨هـ/١١٢٤م إلى جبل تينملل[٣]، والذي باستقراره به يبلغ الصراع الموحدي المرابطي ذروته.

=

مراكش سنة ٥٣٧هـ/١١٤٢م.[ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٥، ص٤٩، ٥٠، جـ٧، ص١٢٥ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٩٨–٢٠٨ ؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس، جـ٢، ص٤٥٩، ٤٦٠ ؛ محمد عبدالله عنان، تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ص٢٤٤، ٢٤٥].

(١) انظر أخبار هذه الحملات المرابطية عند: ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٣٠ ـ ١٣٣ ؛ مجهول، الحلل الموشية، ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص ١٣٤، ١٣٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٤، ص ١٠٨.

(٣) تينملل: ورد اسمها على أكثر من صورة مثل "تِينُ مَلَّل"، و "تينمال" و "تينمل" و "تاغمللت"، و"تنْمَل"، وهي مدينة جبلية منيعة في أعلى جبال أطلس الشاهقة "الأطلس الصغير" إلى الجنوب من مراكش، على بعد ١٠٠ كم، قيل إنها أمنع حصن في بلاد المغرب لوعورة الطريق إليها، وقد استجاب أهلها لدعوة ابن تومرت، فرحل إليهم، لكنه غدر بأهلها وأبادهم، ولما توفى ابن تومرت عام ٥٢٤هـ/١١٣٠م دفن بها، فشيد خليفته عبدالمؤمن بن علي ضريحاً فخماً على قبره، ومسجداً عظيماً، ثم دفن بها فيما بعد عبدالمؤمن، وولده السلطان يوسف بن عبدالمؤمن، وحفيده السلطان يعقوب المنصور، وقد خُرب المسجد والضريح والبنايات، وبقيت أطلال الضريح ماثلة للعيان، حتى قامت وزارة الأوقاف بالمملكة المغربية بترميم المسجد وإصلاحه.[مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، =

فقد كانت خطة ابن تومرت أن يلتزم جانب الدفاع في معاقله الجبلية الوعرة، وألا يهبط إلى السهل ؛ ليحمل أعداءه المهاجمين على الصعود إليه إذا أرادوا قتاله، وهو ما كان يكبد المرابطين مشقات جمة، وكان الفشل مصيرهم دائماً كلما حاولوا القيام بدور الهجوم[1].

معارك المرابطين والموحدين قبل موقعة البحيرة:

ترتيب المعارك التي دارت بين المرابطين والموحدين الثائرين يكتنفه الكثير من الصعوبات، في ظل تضارب المصادر التي ارخت لتلك الفترة، ووصلت إلى أيدي الباحثين.

فصاحب مصنف "الحلل الموشية " الذي كان حياً سنة ٧٨٤ هـ/١٣٨٢م، ونقل عن مصادر مفقودة لم تصل إلينا، يجعل ـ ولكن بشيء من المبالغة ـ للموحدين أربعين

=

ص٢٠٨ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٢، ص٦٩ ؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص١٢٤، ١٣٩ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٤، ص٦٨ ؛ مجهول، الحلل الموشية، ص١١٢، ١١٣ ؛ عبدالعزيز بن عبدالله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية: معلمة المدن والقبائل (ملحق٢) ص١٦٢ ؛ الصديق بن العربي، كتاب المغرب، ص١١١ ؛ عبدالرحيم بن سلامة، المملكة المغربية تعريف بالمدن والقرى والقبائل والأسر والجهات، ص٥٨ ؛ محمد الفاسي، دراسات مغربية (أصول الأعلام الجغرافية المغربية) ص٩٥ ؛ وانظر ما كتبه فريول D'Ferriol عن أطلال تينملل في:

-Les Ruines de Tinmel Hesperis Librairie Emile Larosi Editeur Paris Tome II , Annde 1922p.p.161-174.

(١) محمد عبدالله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (العصر الثالث، القسم الأول) ص١٨٤.

انتصاراً على المرابطين، منها أربع غزوات قادها ابن تومرت بنفسه[١]، ولكن أهم روايات عهد ابن تومرت، والتي دونها رفيقه أبو بكر الصنهاجي المعروف

بالبيذق (ت بعد ٥٨٠/١١٩٤م) لا تتوافق مع ما يذكره صاحب الحلل الموشية ؛ إذ بخلاف افتقارها إلى تحديد زمني على طول مدة ذلك الصراع المرير، فإن البيذق يجعل عدد الغزوات التي قادها ابن تومرت بنفسه تسع غزوات، بعدد سنين ولاية سيده ابن تومرت، منذ مبايعته إماماً للموحدين بتينملل، وإعلان حربه على المرابطين سنة ٥١٥هـ/١١٢١م، وحتى وفاته سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م[٢].

وأما التحديد المكاني فقد كان البيذق أكثر دقة، إذ ذكر أن ثلاثاً من تلك المعارك خرج فيها ابن تومرت من جبل إيجليز[٣]، وست خرج فيها من تينملل، وكانت موجهة إما إلى خصومهم المرابطين، أو إلى القبائل المعادية لهم في مرابضها القريبة منهم[١].

---

(١) مجهول، ص١١٦.

(٢) أخبار المهدي بن تومرت، ص ٣٤ـ ٤٣.

(٣) جبل إيجليز: جبل صغير قرب مدينة مراكش، التي هي في منخفض من الأرض، وليس حولها من الجبال إلا هذا الجبل، الذي ذكره ياقوت الحموي باسم "إيجلين"، ثم قال: " لا أدري لعله إيجلن المذكور قبل هذا "، ويقصد مدينة إيجلي أَنْ وارْغن التي سماها "إيجلن "، وهذا تشكك منه لأن ما ذكره من تعريف بالجبل ينطبق على جبل إيجليز، وهذا الجبل الآن على بعد ٦٠ إلى ٧٠ كلم جنوب شرق مدينة تارودانت، ويتمثل السكن المنظم فيه في مجموعتين رئيسيتين: الأولى تجمع "ما كنون - تاشتولت" في الضفة اليمنى عند قدم الجبل، أما الثانية فهي قرية "أوتيغمرت" الواقعة شرقاً عند سفح الجبل. [الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ١ ، ص٢٣٣ ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ١ ، ص٢٨٨ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٤٠ ؛ جان بيير فان ستيفل وعبدالله فلي، حول تحديد موقع إيكيليز هرغة حصن =

وأما ابن القطان (ت تقريباً سنة ٦٧٥هـ/١٢٧١م) المعروف بولائه للموحدين، فهو وإن لم يحدد عدد الغزوات التي قادها ابن تومرت بنفسه ضد المرابطين، إلا أنه يلتقي مع البيذق في أن مدة حياة ابن تومرت منذ إعلان إمامته سنة ٥١٥هـ/١١٢١م، وحتى وفاته سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م تسع سنين ؛ منها ثلاثاً بإيجليز، وستاً بتينمل[٢].

ومع أن صاحب الأنيس المطرب (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٥م) قد أفرد مساحة من أخباره عن ابن تومرت ودعوته، للحديث عن غزواته وحروبه مع المرابطين، إلا أنه لم يحدد عدد غزوات ابن تومرت، بل لقد خلط في رواياته عن بعض أحداثها[٣].

وفي كل الأحوال لقد كان انتقال ابن تومرت إلى تينملل بمثابة مرحلة جديدة في الصراع مع الدولة المرابطية، فقد رأى بها من كثرة الأتباع " ومنعة موضعهم، وحسن بلدهم ما راقه " [٤]، ولكنه مع ذلك احتاط

ببناء سور على مدينة تينملل، وعلى رأس الجبل، ثم شيد قلعة حصينة في أعلاه ليكشف بها ما وراءه [٥].

=

المهدي بن تومرت، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، العدد٢٦، ٢٠٠٦م، ص٩١ - ١٢٤].

(١) انظر أخبار تلك المعارك عند البيذق في كتابه أخبار المهدي بن تومرت، ص ٣٥ ـ ٣٩.

(٢) نظم الجمان، ص ١٢٣.

(٣) ابن أبي زرع، ص ٢٢٨ ـ ٢٣٠.

(٤) ابن القطان، نظم الجمان، ص١٣٩ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٢٦.

(٥) ابن القطان، نظم الجمان، ص١٤٠ ؛ مجهول، الحلل الموشية، ص١١٢.

ثم شرع ابن تومرت بعد ذلك في شن غزواته على المرابطين، فقاد بنفسه ست غزوات حسب تحديد رفيقه وصاحبه البيذق، كانت البداية من الغزوة الرابعة سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م[١].

ويتضح من تتبع تلك الغزوات أن ابن تومرت قاد بنفسه تسع عمليات حربية ـ حسب تحديد البيذق ـ منها الهجومية، ومنها الدفاعية، جرت كلها في الجبال، ولم تتخطاها حتى عام ٥٢٤هـ/١١٣٠م، حيث نزلت قوات الموحدين إلى سهل مراكش قصد الهجوم على المدينة والاستيلاء عليها من المرابطين.

وهذا يدفع إلى البحث عن الأسباب التي حدت بابن تومرت إلى محاولة الاستيلاء على العاصمة المرابطية مراكش في التاريخ المذكور أعلاه ؟

يرى محمد عبدالله عنان أن ابن تومرت وضع خطة في سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م لافتتاح مراكش والقضاء على الدولة المرابطية في عقر دارها بعد أن " بلغ عندئذ ذروة سلطانة ونفوذه بين قبائل المصامدة، ونفذت طاعته إلى أعماق تلك الهضاب، وبلغت جموعه أعظم حد من الكثرة والتوثب والظمأ إلى القتال، وكانت الانتصارات المتوالية التي أحرزتها جموع المهدي على المرابطين، تذكي من عزمة، وثقته في بلوغ النصر النهائي "[٢]

ويفسر هويتي ميراندا Huici Miranda[٣] اتجاه ابن تومرت لحصار مراكش في هذا التوقيت برغبته

---

(١) أخبار المهدي بن تومرت، ص ٣٦، ٣٧.

(٢) عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (العصر الثالث، القسم الأول) ص ١٨٥.

(٣) أمبروسيو هويثي ميراندا Ambrosio Huici Miranda، مستشرق ينتمي إلى جيل المستعربين الأسبان الذين يطلق عليهم اسم "بني كوديرا" نسبة إلى أستاذهم مؤسس =

في التخفيف من حدة الاستياء بين القبائل التي طبق فيها عملية التمييز، فكان يعدهم ببحبوحة العيش في مراكش، وبالغنائم التي سينالونها بعد إخضاعهم لها[١].

ولا يتفق الباحث مع هذه الرؤية ؛ لأن ابن تومرت كان قد نفذ قبل حصار مراكش عدة عمليات للتمييز أو التطهير بين القبائل، لم تجد معارضة لها داخل مؤيدية، الذين اتسم أغلبهم بالجهل الشديد، والانصياع التام لتعاليمه.

ويبدو أن شعور ابن تومرت بمرضه، وإحساسه بأن نهايته ربما كانت قريبة، جعله يخفي ذلك عن أقرب أتباعه، ويحاول أن يصل بدعوته وقواته إلى حاضرة المرابطين مراكش قبل أن يدركه الموت، خصوصاً وأن الموحدين قد تمكنوا من رد هجمات المرابطين بأودية جبال درن " الأطلس "[٢] الوعرة، لذا ربما كان يعتقد أن

=

الاستعراب الإسباني المعاصر فرانشيسكو كوديرا، درس اللغات الشرقية في جامعة القديس يوسف في لبنان، ثم أقام بالمغرب فترة من الزمن، وهو من مؤسسي مركز الدراسات التاريخية في مدريد عام ١٩١٠م، من أهم آثاره كتاب "التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية "، وكتاب "المعارك الكبرى لحركة الاسترداد المسيحي في إسبانيا"، وترجم إلى الإسبانية عدة مصادر أندلسية كالذخيرة، والأنيس المطرب، والبيان المغرب، والمعجب، توفي سنة ١٩٧٣م.[هويثي ميراندا، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تعريف المترجم بالمؤلف، ص٩ ـ ١٤ ؛ مع قائمة بأهم أعمال هويثي العلمية أعدها الباحث الإسباني بيثنتي كارلوس نابارو Vicente Carlos Navarro ألحقت بآخر الكتاب، ص٥٦٢ ـ ٥٧٩ ؛ كمال أبو مصطفى، محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته، ص٢٨ ؛ يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين، ص١١٣].

(١) هويثي ميراندا، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ص ٧٦.

(٢) جبال الأطلس: هي السلسلة الجبلية العظمى التي تفصل المغرب إلى شطرين من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، وتنقسم إلى ثلاث سلاسل يطلق عليها الأطلس المتوسط، =

بإمكان أتباعه تحقيق نفس النجاح بالمناطق السهلية التي كانت قوات المرابطين تخرج من القلاع والحصون المنتشرة بها لمهاجمة الموحدين.

فضلاً عن أن دعوته التي بذل الجهد في جمع الأتباع حولها قد ذاعت، وأن رجاله بحاجة إلى ترك جبل تينملل والنزول إلى الحضرة المراكشية لحصارها واستئصال شأفة المرابطين[١]، الذين أساء هو وأصحابه تقديرهم، وأسرفوا في حسن ظنهم بأنفسهم[٢]، بعد أن غرَّته تلك المواقع الصغيرة التي انتصر فيها[٣].

الاستعداد لغزو مراكش:

كان ابن تومرت يدرك أن المعركة القادمة هي أعظم المعارك التي ستضطرم بين جموعه وقوات المرابطين، لذا فقد كانت تستدعي استعداداً مختلفاً عما كان سابقاً من مواجهات، وتبعاً لذلك فقد اتخذ ابن تومرت الإجراءات التالية:

=

والأطلس الكبير، والأطلس الصغير، ويتراوح ارتفاعها في بعض النقاط بين ٢٠٠٠م و ٤٠٠٠م، وكان الأطلس الكبير يعرف في القديم بجبال درن أو بجبال المصامدة؛ لأن سكانه من هذه القبيلة التي أدت أدواراً حاسمة في تاريخ المغرب خلال العصور القديمة والحديثة على السواء.[الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ١، ص ٢٢٩ ـ ٢٣١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٣٤، ٢٣٥؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٢٤؛ الصديق بن العربي، كتاب المغرب، ص١١٣، ١١٤؛ حسن البوهي، جبال الأطلس الكبير الأوسط: آمال وآلام، مجلة العربي، الكويت، العدد ٦٩٤؛، ذو الحجة ١٤٣٧هـ / سبتمبر ٢٠١٦م، ص ٣٦ ـ ٤٩].

(١) مجهول، الحلل الموشية، ص١١٤.

(٢) عبدالواحد المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، مقدمة المحقق، ص ٩٢.

(٣) عبدالمجيد النجار، المهدي بن تومرت، ص ١٢٤.

أولاً: التمييز أو التطهير.

ما أن استقر ابن تومرت على سفوح تينملل الشاهقة، حتى قام بإعادة رص قواته وتدريبها، متخلصاً

من كل من يشك في ولائه له، بل وحتى في مسلكه، فكانت عملية العرض التي أجريت سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م[١]، بداية دامية لما عرف في تاريخ الموحدين زمن دعوتهم باسم "التمييز"، أو "التطهير"[٢].

وقد أجرى ابن تومرت قبل الإعداد لحملة حصار مراكش التي انتهت بموقعة البحيرة سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م، تمييزين كبيرين:

أولهما: تمييز بهونا[٣]، وقتل فيه ابن تومرت من وصفهم ابن القطان بالمنافقين[٤].

---

(١) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٤٦ ـ ١٤٨.

(٢) للاستزادة من أخبار تلك المذابح البشرية الدامية التي أدارها ابن تومرت، وغدت تقليداً دارجاً لديه طوال مدة صراعه مع المرابطين انظر: البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٣٠، ٧٢، ٧٦، ١١٣، ١١٥، ١٣٥؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٤٧، ١٤٨، ١٥٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٤، ص ٦٩؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ٢، ص ٣٢٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص ٥٧٥، ٥٧٦، النويري، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، ص ٤٠١، ٤٠٢؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٢٩؛ وقد استمر خليفته عبدالمؤمن بن علي في اتباع هذه العملية كما أشار إلى ذلك ابن عذاري في البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٥١.

(٣) لم أعثر على إشارة إليه سوى ما ذكره ابن القطان عند حديثه عن هذا التمييز، ويبدو أنه اسم لموضع بالبربرية قد اندرس أثره.[نظم الجمان، ص ١٥٦]..

(٤) نظم الجمان، ص ١٥٦

ثانيهما: تمييز بجبل تينملل، أعقبه مباشرة التحرك لحصار مراكش وخوض معركة البحيرة[١].

وقد عهد ابن تومرت إلى واحد من أهل جماعته المقربين إليه وهو البشير الونشريشي[٢] القيام بعملية التمييز هذه، فظل يميز أتباع دعوته من رجال القبائل من يوم الخميس إلى يوم الجمعة، فقتل منهم يومئذ خمس قبائل بموضعين يقال لهما: "إيكر إن وسْنان"، و"إيكر إن آيت كورييت". ثم كان بعد ذلك الخروج إلى مراكش[٣].

ولا شك أن عمليات القتل الجماعي هذه صبغت تاريخ الموحدين بالقسوة والعنف، بداية من ابن تومرت الذي " وَضَعَ القتل شرعاً معمولاً به على غير سنة اله وسنة رسوله "[٤]، وخالف به تعاليم الشريعة الإسلامية[٥]، بقتل المسلمين وفعل

---

(١) نظم الجمان، ص ١٥٦.

(٢) البشير الونشريشي: أبو محمد عبدالله بن محسن بن يكنيمان بن الحسن، المكنى بالبشير، من أهل المغرب الأوسط، لقي ابن تومرت أثناء مروره بجبال ونشريس بالأطلس التلي بالمغرب الأوسط، وعُرف بالونشريشني لذلك، فأعجب به البشير، وتتلمذ له، وصار من خواصه، وبعد إعلان ابن تومرت أمره سارع البشير إلى بيعته، وصار من أهل الجماعة، تولى تمييز المخالفين لابن تومرت سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م، وقد فقد البشير في معركة البحيرة ضد المرابطين سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م، لكن صاحب الحلل الموشية يذكر أنه قد قتل في رحى المعركة. [البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٤٤، ٦٤، ٧١، ٧٢ ؛ المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، ص٢٣ –٢٥ ؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص١٢٦، ١٤٦ - ١٤٨، ١٦١ ؛ مجهول، الحلل الموشية، ص١٠٨، ١١٤، ١١٦].

(٣) أخبار المهدي ابن تومرت، ص ٣٩.

(٤) الشاطبي، الاعتصام، جـ٢، ص٧٤.

(٥) القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٢٩١.

القبائح بهم[١]، وهم لم يرفعوا السلاح في وجه حركته، ولم ينضموا إلى أعدائها، بل كان القتل لمجرد اتهامه لهم بالكذب، أو المداهنة، أو ترك الامتثال لأمره، أو شك في كونه المعصوم، أو شك في مهدويته المزعومة[٢].

ولكن التمييز الكبير الذي شمل صفوف الموحدين على يد البشير، والذي ذهب ضحيته عدد كبير من المصامدة[٣]، كان له أثر لا يمكن إغفاله فيما انتهت إليه المعركة من هزيمة الموحدين على يد المرابطين عند أبواب مراكش.

---

(١) الذهبي، دول الإسلام، جـ٢، ص ٤٢.

(٢) الشاطبي، الاعتصام، جـ٢، ص٧٤.

(٣) المصامدة: شعب كبير من البربر البرانس أبناء مصمود بن بُرْنُس أبي شعوب البرانس، وهم أقحاح البربر لم يختلطوا بغيرهم، ولم يخرجوا من جبلهم إلا بعد مجيء الإسلام، وقد أدت هذه القبائل دوراً بارزاً في تاريخ المغرب على عهد الموحدين، والحفصيين، والمرينيين، كانت مواطنهم الأصلية تبدأ من شمال المغرب من حدود الريف إلى المحيط الأطلسي، وقبائل المصامدة كثيرة، لكن منها ما اندثر اسمه، وأكلته حروب الموحدين، ولم يبق معروفاً باسم مصمودة اليوم إلا قبيلة واحدة مستقرة قرب مدينة "وزان"، وبطون مندمجة في قبائل مصمودية وغير مصمودية بالمغرب والجزائر، أما بطون مصمودة الأخرى فقد ارتفعت إلى مصاف القبائل، منها قبائل غمارة، وبرغواطة، وهرغة، وهنتاتة، وهزميرة، وهيلانة، وغيرها. [الزهري، كتاب الجغرافية، ص١١٦، ١١٧ ؛ عبدالواحد المراكشي، المعجب، ص٤٢٤، ٤٢٥ ؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٠٧ - ٢١٢، ٢٢٦ - ٢٧٤ ؛ عبدالوهاب بن منصور، قبائل المغرب، جـ١، ص٣٢١ ـ ٣٢٨ ؛ الصديق بن العربي، كتاب المغرب، ص١٨٧].

ثانياً: الحشد والتحريض.

أدرك ابن تومرت أن الاقتراب من محيط العاصمة المرابطية مراكش يقتضي استعداداً يختلف عما سبقه من لقاءات مع قوات المرابطين، لذا بادر بالكتابة إلى أتباعه، وإلى القبائل التي انضوت تحت لواء دعوته، حاثاً الجميع على المبادرة والحشد، ومحرضاً إياهم على مزيد الاستعداد للمواجهة القادمة[١].

وبلغ اهتمام ابن تومرت بالحشد والتحريض أنه خاطب جميع الموحدين برسالة خطها بيده، يستدعهم للوصول إليه، والتجمع في تينملل، فاستجابوا كما يذكر صاحب الحلل الموشية ووصلوا في " غاية الاستعداد، وقوة الإمداد"[٢].

ومع أن ابن تومرت لم يخرج مع أصحابه وقواته في هذ المواجهة، إلا أن اهتمامه بها دفعه للسير رفقة حشوده من الموحدين، يشيعهم من مسجده حتى أطراف بلدة تينملل[٣]، رغم ما كان من مرضه.

ويبدو أن ابن تومرت كان يدرك حاجته لأعداد إضافية من المقاتلين لمحاولة تعويض شيء من النقص في أعداد قواته بعد عمليتي التمييز المذكورتين، لذا أمعن في الحشد والجمع ما وسعه الأمر.

ثالثاً: تحديد القيادة.

مع أن ابن تومرت لم يخرج مع قواته في هذه المواجهة لما كان من مرضه، إلا أنه اصطفى لقيادتها المقربين منه[١]، ويذكر صاحب "الحلل الموشية" أنه قدَّم على

---

(١) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٥٦

(٢) مجهول، ص ١١٤.

(٣) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٥٦.

الموحدين الشيخ أبا محمد البشير، وهو أحد العشرة من أصحابه[٢]، لكن صاحب "الأنيس المطرب" يذكر أنه قدم عليهم صاحبه عبدالمؤمن بن علي، ثم البشير، مع جعل الإمامة في الصلاة لعبدالمؤمن[٣]، وبعد ذلك عقد للبشير راية بيضاء[٤].

ولكن ابن القطان يشير عند حديثه عن موقعة سبقت وصول الموحدين مباشرة إلى مراكش، أن المدبرين لأمر الموحدين كانوا ثلاثة على رأسهم عبدالمؤمن بن علي[٥].

وأما البيذق ـ وهو الأقرب لابن تومرت كونه رفيقاً له ـ فيذكر أن البشير منذ قيامه بالتمييز قبل الخروج لحصار مراكش، كان هو صاحب الغزوات بعد ذلك، بل وأفرد لغزواته هذه باباً خاصاً بها[٦].

=

(١) وأما ما يذكره تمام همام من أن ابن تومرت تخلى عن قيادة قوات الموحدين بعد إصابته في الغزوة السابعة، وأنه أسندها إلى البشير رغبة من أتباعه في أن يبتعد عن ساحات الحروب، ويكتفي بالتوجيه، واستخدام القلم واللسان ضد المرابطين، فهو رأي جانبه الصواب ؛ لأن ابن تومرت تولى قيادة غزوتين بعد غزوته السابقه، فضلاً عن أن المرض هو الذي جعله يسند القيادة لغيره. [الدولة الموحدية، مجلة الهداية، وزارة العدل والشؤون الإسلامية، البحرين، العدد ٢٠٦، السنة الثامنة عشرة، ربيع الثاني ١٤١٥هـ/ أكتوبر ١٩٩٤م، ص ٢٧].

(٢) مجهول، ص ١١٤، وإلى مثل ذلك يذهب النويري في كتابه: تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب، ص ٤٠٣.

(٣) ابن أبي زرع، ص ٢٣٠ ؛ ويتفق معه ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ص ١٣٦.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام (القسم الثالث) جـ٢، ص ٣٩٩.

(٥) نظم الجمان، ص ١٥٨.

(٦) أخبار المهدي بن تومرت، ص ٣٩.

قوات الطرفين:

معركة البحيرة التي فرضها الموحدون على المرابطين بحصارهم في عقر دارهم، بلغ عدد قوات الموحدين فيها كما يذكر البيذق رفيق ابن تومرت وشاهد العيان في معركة البحيرة، قرابة ثلاثة آلاف رجل ما بين فارس وراجل[١]، في حين كانت القوات المرابطية تنتظرهم بجيش ضخم كما يذكر صاحب المعجب[٢].

ولكن ابن القطان ومثله صاحب الحلل الموشية يحصيان عدد القوات الموحدية بأربعين ألفاً " فيهم الفرسان، والغالب منهم الرجالة "[٣].

في حين يبدو الأخير مبالغاً عندما يذكر أن المرابطين تصدوا للموحدين وهم أزيد من مائة ألف ما بين فارس وراجل، خصوصاً وهو يذكر أن هزائمهم قد تكررت أمام الموحدين المرة بعد المرة[٤]، في حين يجعل ابن خلكان عدد الموحدين يبلغ عشرة آلاف رجل[٥].

---

(١) أخبار المهدي بن تومرت، ص ٣٩.

(٢) عبدالواحد المراكشي، ص ٢٦٠.

(٣) ابن القطان، نظم الجمان (ينقل عنه ابن عذاري هذا الرقم في البيان المغرب، جـ٤، ص٧٥) ؛ مجهول، الحلل الموشية، ص ١١٤. وأغلب المصادر تشير إلى هذا الرقم: أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، جـ ٢، ص ٣٢٨ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص ٥٧٧ ؛ النويري، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب، ص٤٠٣ ؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ٢٢٩ ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص٧

(٤) مجهول، ص ١١٤.

(٥) وفيات الأعيان، جـ٥، ص ٥٣.

ولا ريب أن قوات المرابطين كانت المتفوقة عدداً وعدة، فقد حشد أمير المرابطين علي بن يوسف (٥٠٠-٥٣٧هـ/١١٠٦-١١٤٢م) جنداً من جميع الأقطار التابعة له بالمغرب[١]، واستوفد آخرين من الأندلس، ومن الجزائر الشرقية[٢]، حتى أن ابن القطان يقول من فرط تتابعهم في الوصول إلى مراكش: " العساكر تصل إليه كل يوم "[٣].

ولكن الإمدادات كانت تصل إلى المرابطين والموحدين على السواء لتعويض من يسقط في القتال من الطرفين ؛ فقد استعان المرابطون بالجند الأندلسي ذوو الخبرة في حرب النصارى بالأندلس، إذ قدم الزعيم الأندلسي المعروف ابن هَمْشك[٤]، بمجموعة مكونة من أربعمائة رجل منهم مائة فارس وثلاثمائة من الرماة[١].

---

(١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٣٠.

(٢) الجزائر الشرقية: وتعرف أيضاً باسم جزر البليار Isla Baleares وهي مجموعة الجزر التي تقع قبالة الساحل الشرقي للأندلس عند مدينة بلنسية، وأهمها ثلاث: ميورقة Mallorca وهي أكبر الجزر، ومنورقة Menorca ويابسة ibeza إضافة إلى عدد آخر من الجزائر الصغيرة، وقد سقطت هذه الجزر بيد خايمي الأول ملك أراجون الملقب بالفاتح سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، ولا زال معظم أسماء المواضع بهذه الجزر عربياً حتى اليوم، ومعظم سكانها يحترفون الزراعة. [الحميري، الروض المعطار، ص٥٦٧ ؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٢١٧، ٢١٨ ؛ حسين مؤنس، رحلة الأندلس، ص٢٣٥، ٢٣٦ ؛ محمد عبدالله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال، ص٩٦ ـ ١٠٨، ١٢٤ ـ ١٢٦ ؛ توفيق محمد الحجاج، صفحات من تاريخ المدن الأندلسية، ص١١٨، ١١٩].

(٣) نظم الجمان، ص ١٦٠.

(٤) ابن هَمُشْك: إبراهيم بن محمد – أو أحمد عند ابن الأبار – بن مفرج بن همشك، ويذكره عبدالواحد المراكشي باسم عبدالله، رئيس من الأندلس، وأحد ثوارها المشهورين، رومي =

ثـم أردف الأمـير المرابطـي علـي بـن يوسـف القائـد ابـن همشـك بعسـكر سجلماسة[٢]، على رأسه الشيخ أبو محمد بن وانودين[١]، فكان لهذا المدد مع ما قبله أثر في سير القتال مع الموحدين[٢].

=

الأصل، نزح جده مفرج إلى أحد أمراء بني هود، وأسلم على يديه، لمع نجمه في الأيام الأخيرة للحكم المرابطي بالأندلس، وقد زوج ابنته لأمير شرق الأندلس محمد بن سعد بن مردنيش، فتوطدت رياسته، ثم ساء ما بينهما، فقدم على الخليفة يوسف بن عبدالمؤمن بالمغرب سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م، فأقره على ما بيده، حتى سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م، حيث طولب بالانصراف إلى المغرب بأهله= =وولده، فانتقل، وسكن مدينة مكناس حتى وفاته بها سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م. [عبدالواحد المراكشي، المعجب، ص٢٨٠ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، جـ٢، ص٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٦٨ ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، جـ١، ص٢٩٦ - ٣٠٣ ؛ أعمال الأعلام (القسم الثاني) ص٢٦٣، ٢٦٤ ؛ عبدالوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، جـ١، ص٧١، ٧٢].

(١) مجهول، الحلل الموشية، ص ١١٤، ١١٥.

(٢) سجلماسة: مدينة على أطرف صحراء المغرب، على نهر يقال له "زيز" كان يسكنها قوم من قبيلة مسوفة، أسسها بنو مدرار الخوارج أواسط القرن الثاني الهجري، ثم احتلها العبيديون وأسس بها المهدي دولته قبل انتقاله إلى إفريقية، وكانت المدينة نقطة تجارية هامة بين المغرب والسودان وإفريقية خلال عصر المرابطين ومن بعدهم، ثم استمرت المدينة قائمة إلى القرن العاشر الهجري، حيث اندثرت ولم يبق منها الآن أي أثر يدل عليها، ومكانها حالياً يقع على بعد بضعة كيلومترات جنوب مدينة تافيلات المغربية. [مجهول، الاستبصار، ص ٢٠٠ ـ ٢٠٦ ؛ البكري، المسالك والممالك، جـ٢، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٧ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٠٥ ـ ٣٠٧ ؛ ٢٧ ؛ عبدالرحيم بن سلامة، المملكة المغربية: تعريف بالمدن والقرى =

كما توافدت قبائل مؤيدة للمرابطين ـ وذلك قبل أن تتبع دعوة ابن تومرت وتنظم إلى جانب الموحدين ؛ فقد أقبلت عساكر هسكورة[٣] المصمودية، ودخلت

=

والقبائل والأسر والجهات، ص ٩٩ ؛ الصديق بن العربي، كتاب المغرب، ص ٢٢٨، ٢٢٩].

(١) ابن وانودين: أسرة بني وانودين تنتمي إلى قبيلة هنتاتة المصمودية، وكانت من النخب المتميزة داخل جهاز السلطة الموحدية، وأدت دوراً بارزاً في مرحلة الضعف السياسي للدولة الموحدية، ، وقد كان ابن وانودين من كبار الموحدين، وهو الذي قدم الخليفة الموحدي السعيد، وأقعده مقعد أبيه وجده رغم المعارضين له، لكن ما إن صارت الخلافة إليه حتى تغير عليه، فقبض عليه وغرَّبه لسبب لا يعلمه أحد من الوزراء والكبراء، لكن ابن وانودين تمكن بعد فترة من الهرب، واللجوء إلى جبل تيفنوت، فأرسل إليه السعيد يعلمه بزوال ما في خاطره عليه، فشكر له ابن وانودين ذلك، وطلب منه أن يكون سكناه في هذا الجبل بأولاده، فأجابه السعيد إلى مطلبه، فسكن ابن وانودين تيفنوت إلى حين مماته.[ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين) ص ٣٦٧ ـ ٣٧٠ ؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ٢٥٨، ٢٥٩ ؛ هويثي ميرانـدا، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ص ٥١٦ ؛ محمد العربي، الحفاظ نموذج النخبة السياسية في العصر الموحدي، مجلة أمل، الدار البيضاء، العدد الرابع، السنة الثانية، ١٩٩٣م، ص ٢٢ ـ ٢٥].

(٢) ابن القطان، نظم الجمان، ص١٦٠ ؛ مجهول، الحلل الموشية، ص ١١٥.

(٣) هسكورة: قبيلة كانت تستقر في منطقة السوس الأدنى جنوب تارودانت، وكانت من القبائل السباقة إلى مبايعة ابن تومرت، لكن زعيمها عمر بن وقاريط تمرد على الخليفة الرشيد الموحدي فأعدمه عام ٦٣٥هـ / ١٢٣٧ م، وقد اندثر اسم هذه القبيلة الآن. [البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٣٨، ٤٠، ٦٠، ٦٣، ٦٤، ٦٧، ٧١، ٨٩، ٩٠، ٩٢ ؛ مجهول، الحلل الموشية، ص ١٠٩، ١٣٨، ١٧٣، ١٨٩ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٣، ص ٢٤٣ ؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص ٢٥٦ ؛ الصديق بن العربي، كتاب المغرب، =

مدينة مراكش تحت قيادة أبي بكر بن الجوهر[١]، وعساكر صنهاجة تحت راية يحيى بن ساقطن، وعساكر الغرب بقيادة ياسين بن فيلو، الذي امتنع عن دخول مراكش، رغبة منه في مباشرة القتال عاجلاً، ولما رفض علي بن يوسف ذلك، اتخذ ابن فيلو الجانب الغربي من أرض البحيرة[٢]، قريباً من الموحدين موقعاً لرجاله[٣]، ولعله كان يخشى من التزاحم مع العساكر الأخرى داخل المدينة، فضلاً عن البقاء تحت حصار الموحدين داخلها.

وأما في الجانب الموحدي المحاصر لمدينة مراكش، فقد قدم إليهم أهل أغمات أيلان[٤]، بأعداد كبيرة لرفدهم ونصرتهم[١].

=

ص٢٤٣ ؛ عبدالعزيز بن عبدالله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية: معلمة المدن والقبائل (ملحق ٢) ص ٣٦٧]..

(١) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٤٠.

(٢) يأتي التعريف بالبحيرة تالياً عند تناولها كأرض لميدان الموقعة الكبيرة.

(٣) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٤٠ ؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦٠.

(٤) أغمات: مدينة تاريخية شهيرة، تقع بقرب وادي درعة، وسط قبيلة وريكة عند قدم السفح الشمالي لجبل الأطلس الكبير الغربي، على بعد ٣٣كلم جنوب مراكش، وهي بلدتان: أغمات وريكة حيث توجد اليوم القرية المسماة باسماها، وأغمات هيلانة " أيلان " التي تقع شمال شرق الأولى على بعد ثمانية أميال منها وهي الأشهر، وقد اندثرت منذ قرون ولم يعد موقعها معروفاً على وجه اليقين، وقد كانت أغمات مدينة عامرة، ثم تضاءلت أهميتها حتى دمرت بالتدريج بعد تأسيس المرابطين مدينة مراكش، وأغمات اليوم قرية نامية، ومقر جماعة قروية مسماة باسمها بإقليم الحوز بولاية مراكش، يؤمها عدد كبير من السائحين ولا سيما الأسبان للوقوف على ضريح دفينها الأمير الشاعر المعتمد بن عباد.[مجهول، الاستبصار، ص٢٠٧ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ ١، ص ٢٣١ ــ ٢٣٣، ٢٣٥ ؛

=

المواجهات في الطريق إلى مراكش:

جدَّ الموحدون بقياد البشير الونشريشي في طريقهم إلى الحضرة المراكشية، وفي مسيرهم خاضوا مواجهات جانبية مع قوات مرابطية حاولت صدهم بعيداً عن العاصمة المرابطية، لكن الخسائر أمام الموحدين أدت إلى تراجعهم وإدخالهم إلى مدينة مراكش.

ورغم اضطراب المصادر التاريخية في ترتيب الوقائع قبل معركة البحيرة وبعدها أيضاً، إلا أنه أمكن عن طريق المقارنة بين روايات المصادر، ومقابلة بعضها بعضاً تحديد المواجهات التي كانت بين المرابطين والموحدين قبل الوصول إلى مراكش وحصارها، فكانت كالتالي:

أولاً: موقعة تاغزوت[٢].

بقوات بلغ تعدادها ثلاثة آلاف من المشاة، وثلاثمائة من الفرسان، التقي الموحدون بقيادة البشير بجموع مرابطية يقودها عمر بن يملوك[٣]، الذي قتل أثناء

=

البكري، المسالك والممالك، جـ٢، ص ٣٣٨، ٣٣٩ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، حاشية المحقق، ص ٦٠ ؛ محمد بن ناصر العبودي، الإشراف على أطراق من المغرب العربي، ص ١٣، ١٤].

(١) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٣٨.

(٢) هي المعركة التي تناولها ابن القطان تحت عنوان " هزيمة أبي بكر بن يندوج بكيك "، ولعله هو الذي يذكره البيذق باسم "عمر بن يملوك ".[قارن: البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٣٩ ؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٥٦، ١٥٧].

(٣) عمر بن يملوك: عمر بن علي الصنهاجي، يعرف عند الموحدين بعمر أصناك أو آصناج، أي الصنهاجي بلغة البربر واسمه الأول يملوك أو يندوك، أحد السابقين الأولين إلى نصرة ابن

=

المواجهة، وغنم الموحدون خيلة وماله، وكل ما كان بيد المرابطين حينها[١]، وعلى أثر ذلك قام فرسان الموحدين بالسطو على حصن " تافركونت " الواقع بمنطقة "كيك غيغرة"، وأبادوا الجنود المرابطين به وعددهم خمسمائة، واستولوا أيضاً على كل ما به[٢].

ثانياً: موقعة مكدار[٣].

شجع الانتصار السابق الموحدين على التقدم نحو "أغمات وريكة"، حيث وصلوها يوم الإثنين، فخرجت قوات مرابطية للتصدي لهم بقيادة كل من: بكور بن علي بن يوسف، وبطي بن إسماعيل، وشيوخ مرابطين آخرين، والتقى الطرفان في

=

تومرت، وأحد العشرة الذين سارعوا إلى بيعته، فكان بذلك من أهل الجماعة العشرة، استوزره ابن تومرت، ولما مات كان أحد الثلاثة الذين بايعوا عبدالمؤمن بن علي خلفاً له، فنحاه عبدالمؤمن عن الوزارة ؛ لأنه أرفع قدراً منها في نظر الموحدين، توفي عام ٥٣٦هـ/١١٤١م.[البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٣٤، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٥، ٥٣، ٥٤، ٩١ ؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص١٢٥، ١٢٦، ١٥٨، ١٦٣، ١٦٤، ٢٦٤ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٢٤ ؛ مجهول، الحلل الموشية، ص١٠٨].

(١) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٣٩ ؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٥٦، ١٥٧. يلحظ ذلك الإضطراب عند البيذق في تحديد موضع المعركة، وقائديها من الجانبين الموحدي والمرابطي، والأمر كذلك نجده عند ابن القطان أيضا.

(٢) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٩١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٤، ص ٨٤.

(٣) مكدار: تكتب بالبربرية " أمكدار، و " أمجدار " موضع يقع جنوب مدينة أغمات وريكة التي تقطنها قبائل وريكة البربرية، ويوجد الآن جوار قبيلة مسفيوة من حوز مراكش مكانان يسمى كلاهما بمكدار.[البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، حاشية المحقق، ص ٣٩ ؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٥٨، ١٦٦].

مكدار ـ جنوب جبال أغمات وريكة ـ فانتصر الموحدون، وغنموا من المرابطين دوابهم، وامتعتهم، وأسلحتهم [١].

ثالثاً: موقعة أهل أغمات.

اقتفى الموحدون أثر المنهزمين في موقعة مكدار إلى بلدة "أغمات وريكة" فخرج إليهم يوم الأربعاء جمع كبير من أهل البلدة، بمن فيهم تجارها، فتولى عبدالمؤمن بن علي ترتيب صفوف الموحدين، فكانت الهزيمة على أهل البلدة، وأُخذت جميع المحلات، وقتل منهم مقتلة عظيمة[٢].

وبعد هذه الموقعة أصبح الطريق مفتوحاً أمام جموع الموحدين للوصول إلى العاصمة المرابطية مراكش، إذ سار الموحدون حتى وصلوا إلى محلة تعرف باسم " أفراج يوسف بن وغوار "، فباتوا هناك ليلة الخميس[٣]، الذي

أشرق صباحه وهم في محيط العاصمة مراكش[٤]، مشرفين على سورها وأبوابها[٥].

---

(١) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٣٩، ٤٠ ؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٥٧، ١٥٨، ١٦٦ ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص ٦.

(٢) ابن القطان، نظم الجمان، ص١٥٨ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٤، ص٨٤ ؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٢٩.

(٣) ابن القطان، نظم الجمان، ص١٥٨.

(٤) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٤٠ ؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٥٨.

(٥) أبواب مراكش: أسس أمير المرابطين يوسف بن تاشفين (٤٥٣ ـ ٥٠٠ هـ / ١٠٦١ـ ١١٠٧ م) مدينة مراكش سنة ٤٥٩هـ /١٠٦٦م وقيل سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م، ثم اختط سورها ولده علي بن يوسف (٥٠٠ ـ ٥٣٧ه/ / ١١٠٧ـ ١١٤٢م) سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م.

=

ولا شك أن المواجهات الثلاث السابقة كان لها الأثر الكبير في تراجع القوات المرابطية، والتقهقر إلى الوراء حتى لم يجدوا أمامهم من سبيل سوى الدخول إلى العاصمة مراكش والاحتماء بها، بعد سد أبوابها في وجوه الزاحفين إليها من الجبال[1].

حصار مراكش ومعركة البحيرة:

امتد حصار القوات الموحدية لمدينة مراكش مدة أربعين يوماً[1]، نشبت خلالها عدة معارك ومواجهات دارت حول أبواب المدينة، كانت على النحو التالي:

=

ويتخلل سور المدينة أبواب فتحت في أماكن تدعو الحاجة إليها، وهي موزعة حسب الأحياء، أو الاتجاهات الموصلة إلى المدينة، فمن الأبواب التي تعود إلى فترة الحكم المرابطي لمراكش: باب أغمات، باب أيلان، باب الدباغين، باب الخميس، باب تاغزوت، باب دكالة، باب العريصة، وباب المخزن، ومن الأبواب التي تعود إلى فترة الحكم الموحدي: ، باب الشريعة، باب أكناو، باب الرب.

وقد حافظت الدولة المغربية الحديثة على السور القديم لمدينة مراكش القديمة، حيث تم الإبقاء عليه، بما فيه من أبواب، وشرفات، وأبوابه الكبيرة المربعة، وكل من أراد دخول المدينة بجد طريقاً له مع أحد أبواب السور الكبيرة فيدخل المدينة القديمة. [الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ١، ص ٢٣٣ ؛ مجهول، الاستبصار، ص ٢٠٩ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٥٤٠ ؛ عبدالعزيز بن عبدالله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية: معلمة المدن والقبائل (ملحق ٢) ص ٧٩ ؛ محمد بن ناصر العبودي ؛ الإشراف على أطراف من المغرب العربي، ص ٤٧ ؛ عبدالمجيد بن حلون، هذه مراكش، ص ٢٧ ؛ بن الشرقي حصري أحمد، ارتسامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش، ص ١١١ ـ ١١٥].

وانظر في الملحق رسماً توضيحياً يحدد أبواب مراكش التي دارت عندها المواجهات أثناء حصار مراكش سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م، ص٣٦.

(١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ٢٣٠.

أولاً: موقعة باب الشريعة[٢].

ما أن سمع العامة من أهل مراكش بنزول الموحدين صباح يوم الخميس على باب الشريعة حتى تنادوا للخروج إليهم، ومواجهتهم بحماس وعزيمة، ولكن دون سلاح يعينهم على اللقاء مع الموحدين، الذين برز إليهم أيضاً على بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠ـ ٥٣٧هـ/ ١١٠٦ـ ١١٤٢م) بعساكره، لكنه تفاجأ أن الأهالي الذين خرجوا غير مسلحين، فأمرهم بواسطة مناد خاص بالعودة إلى المدينة من أجل التسلح[٣].

ولكن كان رجوعهم وانسحابهم المفاجئ أشبه بالهزيمة، وهو ما أثار انتباه الموحدين الذين اعتقدوا أن عامة الناس قد فروا، لذا رفعوا سياجاً كانوا قد وضعوه

=

(١) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٤٠ ؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦٠. ويجعل ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) مدة الحصار خمسة وأربعين يوماً. [أعمال الأعلام (القسم الثالث) جـ٢، ص ٣٩٩]، وأما ابن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) فيذكر أن الحصار استمر شهراً. [وفيات الأعيان، جـ٥، ص٥٣]. ولكن نعتمد هنا ما حددته المصادر الموحدية باعتبارها الأقرب للحدث.

(٢) باب الشريعة: أنشئ قريباً من قصر الحجر الذي بناه علي بن يوسف، وحمل هذا الاسم لوجوده أمام مصلي العيد بمراكش، وكون الحدود الشرعية كانت تقام خارجه، وقد أغلقه الموحدون حينما بنو القصبة وأنشأوا باب الرب عوضاً عنه، وبمدخله يوجد ضريح الإمام السهيلي المتوفى سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م، ورغم زوال هيكلة الآن، إلا أن بعض آثاره لا زالت باقية. [عبدالعزيز بن عبدالله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية: معلمة المدن والقبائل (ملحق٢) ص ٧٩، بن الشرقي حصري أحمد، ارتسامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش، ص ١١٣].

(٣) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٥٩.

من قبل للإحتماء به إذا ما دعت الحاجة، وتعقبوا الناس في دخولهم من باب الشريعة، الذي تكدسوا أمامه كل يريد الدخول، فكثر الإزدحام، وتضايق الناس مع بعضهم البعض، مما تسبب في مقتل العديد منهم[١]، ففر بعضهم حين لم يجدوا من أين يدخلوا إلى مراكش حتى وصلوا إلى وادي أم الربيع[٢]، ولما رجعوا بعد ذلك إلى المدينة أمر علي بن يوسف بحلق لحاهم ومثل بهم[٣].

حدث ذلك المشهد أمام عيني علي بن يوسف الذي دُهش لهوله، فانسحب مجبراً محتاراً في كيفية الدخول لمراكش، لكن وجهه أحد حاشيته للسير إلى باب آخر لم يسمه له حتى لا يعلم به الناس، فاتجه إلى باب المخزن [٤]، ودخل منه إلى المدينة[١].

---

(١) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٥٩.

(٢) وادي أم الربيع: وعرف كذلك باسم وادي "وانْسيفِن"، وهو من أهم أنهار المغرب، ينحدر من الأطلس المتوسط، ويصب في المحيط الأطلسي، قرب مدينة أزمور، ويقطع في جريانة مسافة ٦٠٠كلم، وعليه تقع قرية أم الربيع التي يقطنها أخلاط من البربر، وقد أقيمت على هذا النهر حالياً سدود لري السهول، وتوليد الكهرباء.[الزهري، كتاب الجعرافية، ص١١٥ ؛ مجهول، الاستبصار، ص١٨٥ ، ١٩٣ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦٠٥ ؛ عبدالعزيز بن عبدالله، الموسوعة المغربية للأعلام البريشرية والحضارية: معلمة المدن والقبائل (ملحق٢) ص٥٠ ؛ عبدالرحيم بن سلامة، المملكة المغربية: تعريف بالمدن والقرى والقبائل والأسر والجهات، ص٢٣].

(٣) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦٦ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٤، ص ٧٦. (نقلاً عن ابن القطان).

(٤) باب المخزن: كان يطلق المخزن في القديم على خزينة الدولة، ثم أصبح يطلق منذ العهد المرابطي على الحكومة، وقد كان هذا الباب يفتح مباشرة على قصر الحجر الذي بناه السلطان المرابطي على بن يوسف (٥٠٠ـ٥٣٧هـ/١١٠٦ ــ ١١٤٢م)، وقد تهدم هيكله =

كل هـذا شجـع القوات الموحدية على نقـل مخيـمهم إلى موقع جـديد جوار بحيـرة الرقـائق[٢]،

=

الداخلي ولم يبق منه اليوم إلا القوس، وهو يعرف اليوم باسم باب الأحمر. [عبدالعزيز بن عبدالله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية: معلمة المدن والقبائل (ملحق ٢) ص٧٩ ؛ بن الشرقي حصري أحمد، ارتسامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش، ص ١١٣ ؛ عبداللطيف الشادلي، معجم المصطلحات الإدارية والألفاظ العامية والأجنبية الواردة في بعض الوثائق والمؤلفات المغربية، ص ١٩٩].

(١) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٥٩ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٤، ص ٨٤.

(٢) بحيرة الرقائق أو البحيره ؛ بسيط بضواحي مراكش أمام باب الدباغين وباب أيلان، حيث حدائق "أكدال" الحالية، وصيغة التصغير لكلمة بُحْيَرة التي تعني من بين ما تعني: الروضة العظيمة، وهذه الكلمة يتداولها المغاربة بصيغتين "لْبْحرَ" و" لْبْحَايْرْ" وهي في هذه الحالة تغني السهول المتصلة، أو البستان المغروس بأشجار مختلفة، أو بنوع واحد منها كالزيتون، كما تطلق كذلك على الحقول المسقية والمبنية على شكل مدرجات على جوانب الأودية الجبلية في الأطلس الكبير الغربي.

وقد تحدثت المصادر التاريخية عن هذا النوع من البساتين في مراكش وضواحيها بصفة خاصة، وكانت تعرف باسم "لْبْحِر" أو "تَبْحِرْت" منذ عهد المرابطين، وهذا يجعلنا نتساءل عن الأسباب التي أدت إلى استعمال كلمة البحيرة العربية الأصل، خصوصاً في بلاد مصمودة المتمرسين بفنون الفلاحة والزراعة منذ أقدم العصور، وفي زمن كزمن المرابطين الذي كانت فيه العربية غير مستعملة إلا لدى قلة قليلة من المتعلمين؟. وللإجابة نقول: أن الإدريسي (ت على الأرجح سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م) يذكر أن رجلاً اسمه "عبيد الله بن يونس المهندس" قدم إلى مراكش في صدر بنائها وليس بها إلا= = بستان واحد، فعمل على إيصال المياه الجوفية من قدم الجبل إلى مراكش، ولم يزل الناس يحفرون الأرض، ويستخرجون مياهها إلى البساتين حتى كثرت البساتين، واتصلت بمباني مراكش.

=

التي تقع بين باب الدباغين[١]، وباب أيلان[٢]، واستولوا على ما كان في خزائنها من حبوب[١].

=

وعليه فإن ابن يونس هذا، قد يكون هو الذي أطلق اسم " البحيرة " على بساتين مراكش، ولعله قدم من الأندلس، وبقيت هذه الكلمة متداولة على ألسنة الناس بجانب كلمات أخرى. وهكذا أصبحت مراكش في عهد الموحدين بصفه خاصة بلد " البحائر " سواء داخل سورها أو خارجه، إذ يذكر المؤلف المجهول لكتاب الاستبصار (ت أو اخر ق ٦هـ / ١٢م) أن مراكش " حولها البساتين والجنان التي يسمونها البحائر لعظمها، وما لا يحصى كثرة "، وكل الدلائل سواء منها التاريخية او الحالية تشير إلى أن بحائر مراكش الواقعة خارج السور، تجمعت بصفة خاصة في شرق المدينة، وأهمها بحيرة " الفصفصة "، وبحيرة " الرقائق " حيث وقعت أولى المعارك الكبرى بين المرابطين والموحدين، والتي أصبحت تنسب إلى البحيرة.[البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٤٠ ؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٥٩ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، جـ١، ص ٢٣٣ ؛ مجهول، الاستبصار، ص ٢٠٩ ؛ ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، ص٢٤٣، ٢٤٧ ؛ علي صدقي أزايكو، نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية، ص٣٢ ـ ٣٤].

(١) باب الدباغين: فتح قريباً من باب أيلان ؛ لتسهيل الخروج إلى وادي " إيسيل " لغسل الجلود، وإزالة صوفها وشعرها ووبرها على ضفته، فضلاً عن إدخال المحروقات لأفران الفخار والصابون المنتشرة على الجهة الشرقية للمدينة، ويسمى اليوم باب " الدباغ ". [بن الشرقي حصري أحمد، ارتسامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش، ص ١١١ ؛ عبدالعزيز بن عبدالله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية: معلمة المدن والقبائل (ملحق ٢) ص ٧٩].

(٢) باب أيلان: من أبواب مدينة مراكش التي تعود إلى العهد المرابطي، وسمى بذلك نسبة إلى قبيلة أيلان " هيلانة " المصمودية التي تسكن جنوب مراكش في أعمات أيلان، وقد فتح هذا الباب قريباً من باب الدباغين لتسهيل الخروج إلى وادي " إيسيل "، وقد احتفظ هذا الباب =

وكل تلك التفصيلات انفرد بذكرها المؤرخ الموالي للموحدين ابن القطان (ت حوالي ٦٧٠هـ/١٢٧١م)، لكن لا نجد ذكراً لها عند البيذق الذي رافق القوات الموحدية في مسيرها، ثم حصارها لمراكش، وعودتها بعد ذلك، وهذا لا ينسجم مع اتجاه البيذق في رصد الكثير من الأحداث حتى لو كانت غير ذات أهمية.

ولا شك أن هذه الهزيمة المفاجئة للمرابطين دفعت أميرهم علي بن يوسف ــ الذي فقد ثقته في قواته داخل المدينة ــ إلى طلب الإمدادات من جهات أخرى، والتي لم تصل إلا بعد مرور أزيد من عشرين يوماً على بداية الحصار و الموجهات[٢]، وهي الإمدادات التي سبقت الإشارة إليها.

وخلال فترة الحصار من قبل الموحدين، وانتظار المدد من المرابطين، كانت تجري بعض المناوشات والمنازلات الفردية، وقد بالغت المصادر الموحدية في تصويرها، وعلى رأس أولئك ابن القطان المعروف بولائه للسلطة الموحدية، الذي يقول: "يحمل الواحد من الموحدين أعزهم الله تعالى على العشرة من الملثمين فيهزمهم"[٣].

=

باسمه القديم حتى اليوم.[مجهول، الاستبصار، ص ٢٠٧ ؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٦ ؛ عبدالعزيز بن عبدالله، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية: معلمة المدن والقبائل (ملحق٢) ص ٧٩ ؛ بن الشرقي حصري أحمد، ارشامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش، ص١١١].

(١) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٥٩.

(٢) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٤٠، ابن القطان، نظم الجمان، ص١٦٠ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٤، ص٧٦.

(٣) نظم الجمان، ص ١٦٠.

ولكن صاحب الحلل الموشية وصف المنازلات اليومية بين االفريقين، وتبادلهما النصر والهزيمة، وكيف أن اشتعال نار الحرب المتكررة جعل القتلى من الفئتين يذهبون في نهاية الأمر، أعراساً للطيور الجارحة، وولائم للسباع الجائعة[١].

وخلال هذه الفترة نهض القائد الأندلسي ابن همشك للتعبير عن تذمره من الحصار، وعدم قيامهم بأي رد فعل تجاه الموحدين الذين يحاصرونهم، فأذن له علي بن يوسف أن يخرج في ثلاثمائة فارس لقتال الموحدين فصعد ابن همشك على باب أيلان ينظر رجاله وهم يقاتلون الموحدين، فأدرك أن القوات الموحدية تتوافر على رماح أطول من رماح المرابطين مما يسمح لهم بإصابة رجاله قبل أن يصلوا إليهم، فقرر الانسحاب نحو المدينة، حيث أمر رجاله بإطالة رماحهم إلى ستة أذرع[٢].

وفي صبيحة اليوم التالي خرج مع رجاله للمواجهة من جديد، ولم يعد إلى مراكش إلا ومعه نحواً من ثلاثمائة رأس من رؤوس الموحدين، مما أسعد المحاصرين ورفع معنوياتهم[٣]، حتى أنه " نشط الناس بمراكش،

---

(١) مجهول، ص ١١٤.

(٢) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦٤ ، ١٦٥.

(٣) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦٥.

لذا يرى المؤرخ الألماني يوسف أشباخ Josep Aschbach أن الفضل فيما انتهت إليه معركة البحيرة كان لتلك البداية في المناوشات مع الموحدين، والتي بدأها الجند النصارى في حرس الأمير المرابطي علي بن يوسف، والتي كشفت " أن الموحدين ليسوا من المنعة كما بدوا ". [تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، جـ١ ، ص ٢٠٢].

وقد تابعه في ذلك ورأى رأيه مراجع عقيلة الغناى في كتابه " قيام دولة الموحدين " ص٢٦٠.

وهذا الرأي جانبه الصواب، فقد سبقت الإشارة إلى أن الذي بدأ المناوشات الأولى كما يذكر صاحب الحلل الموشية هم جند الأندلس بقيادة ابن همشك، ومن المعروف أن آل =

وساروا بذلك لأمير المسلمين، فأمر في الحين بخروج العسكر "[١].

وهكذا يتضح أنه في يوم البحيرة لم يلتق الجيشان المرابطي والموحدي على دفعة واحدة، وإنما سبقت المعركة الفاصلة مناوشات بين الطرفين، قويت فيها عزائم المرابطين بما تحقق لهم من انتصار في المواجهة الأخيرة.

ثانياً: يوم بحيرة الرقائق.

لا شكل أن المعركة الكبيرة بين القوات الموحدية الحاصرة لمراكش، وقوات المرابطين المتأهبة والمُحَاصرة داخل المدينة، كانت منتظرة الحدوث في أي وقت، فما حصل عند باب الشريعة لا يعبر عن استعداد الطرفين للمواجهة.

ولكن من غير المنطقي أن يكون انتصار قوات ابن همشك المحدود، هو الذي دفع علي بن يوسف ليأمر قواته بالخروج لمواجهة القوات الموحدية كما يذكر ابن القطان، ومؤلف الحلل الموشية[٢]، ولكن يبدو أن وصول الإمدادات التي كان

=

همشك من المسلمين ؛ وأما التلميح إلى مدى ما تملك الجند المرابطي من خوف من مقاتلي الموحدين، فلا يستقيم مع الأحداث التاريخية التي أبرزت طول المقاومة المرابطية للموحدين، وقدره الجند المرابطي في الكثير من المعارك بالمغرب، وأفريقية، والأندلس.

ويقدم صاحب" الحلل الموشية تفسيراً مختلفاً لانسحاب ابن همشك بعد خروجه الأول ضد الموحدين، إذ يذكر أن ابن همشك لما رأى طول حجم رماح هولاء أمر رجاله بتقصير رماحهم ستة أذرع.[مجهول، ص ١١٥].

وهذا التفسير غير منطقي لأن استعمال الرماح القصيرة، يجعل رجال ابن همشك عرضة للإصابة برماح الموحدين الطويله، وهو ما أشار إليه ابن القطان بدقة في الرواية أعلاه.

(١) مجهول، الحلل الموشية، ص١١٥.

(٢) نظم الجمان، ص ١٦٥ ؛ الحلل الموشية، ١١٥.

المرابطون ينتظرون وصولها بعد طلبهم لها إثر موقعة باب الشريعة، ومطالبة بعض القوات عند وصولها مباشرة القتال فوراً، وعدم الانتظار داخل المدينة، كان مع ما سبقه حافزاً للخروج للقتال وفك الحصار الموحدي عن مراكش.

وقبل التقاء الطرفين كتب عبدالمؤمن ـ تنفيذاً لوصية ابن تومرت له ـ إلى علي بن يوسف يدعوه إلى ما يدعو إليه ابن تومرت، فرد عليه الأمير على بن يوسف يحذره عاقبة مفارقة الجماعة، ويذكره الله في سفك الدماء وإثارة الفتنة، لكن لم يلتفت عبدالمؤمن لتحذيره[١].

وهكذا لم يشرق صباح السبت[٢]، من جمادى الأولى عام ٥٢٤هـ/١٣ أبريل ١١٣٠م[٣]، حتى التقى

الفريقان في حرب ضروس ومواجهة دامية، إذ انطلق الهجوم المرابطي فجراً، حيث خرجت الحامية الموجودة وسط المدينة من باب أيلان، وكانت بقيادة أبو محمد بن وانودين، وهاجمت مقدمة الجيش الموحدي، بينما هاجمت حامية الغرب التي يقودها ياسين بن فيلو جناحه الأيسر[٤].

وحمي الوطيس، واشتدت ضراوة القتال، حتى جمع المقاتلة من الطرفين بين صلاتي الظهر والعصر، وصلوا صلاة الخوف، وبالغت المصادر الموحدية في استغلال

---

(١) عبدالواحد المراكشي، المعجب، ص ٢٦٠.

(٢) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٤٠.

(٣) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦١.

(٤) أخبار المهدي بن تومرت، ص ٤٠ ؛ مجهول، الحلل الموشية، ص ١١٥ ؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٢٩.

هذا الظرف، فيذكر ابن القطان أن هذا الأمر أثار انتباه الأمير علي بن يوسف فقال: "إن هذا العجيب، غلبوا فصلوا، وغلبناهم فعطلناها، ما أظن هؤلاء إلا على الحق[١].

لقد سطر ابن القطان هذه الحكاية لتأكيد حرص قومه على الصلاة في كل الظروف، وتناسى أن المرابطين أيضاً أدوا الصلاة، بل كيف بلغه الخبر وانفرد به دونما بقية المصادر الأخرى ؟ وايضاً كيف لقائد أن يذكر ذلك أمام جنوده الذين يوشكون على إتمام نصرهم، ألم يكن يخشى التأثير عليهم والتسبب في انخفاض معنوياتهم وهم من بدأ بالهجوم ؟.

وكان القتال يدور رحاه على " رؤوس العيون من سواقي الرقائق "، ومن هنا كان اسم الموضع الذي دارت عنده المعركة " بحيرة الرقائق "، ولتجنب المزيد من القتلى في صفوفهم التجأ باقي الموحدين إلى التحصن داخل البحيرة في الخنادق التي تمر عبرها قنوات المياه[٢].

وفي هذا النهار الدامي أظهر عبدالمؤمن بن علي ــ كما يروي ابن القطان أيضاً ــ ضروباً من الفروسية على حصانه" الأخضر" منها الوثوب فوق حفرة عظيمة بين سواقي الماء تشبه الخندق، عرضها ثلاثون ذراعاً، حتى لقد عجب الموحدون لسعة الخندق وقوة الوثبة، وثبات الفارس عبدا لمؤمن على فرسه، الذي دفعه ذلك الإعجاب إلى إعادة الكرة مرة أخرى [٣].

---

(١) نظم الجمان، ص ١٦١.

(٢) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦٠.

(٣) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦٠.

ويشير البيذق إلى أن الموحدين قاوموا باستماتة هجوم المرابطين منذ بداية المعركة، وقاتلوهم قتالاً شديداً[١]، لكن التفوق العددي للمرابطين في مجريات القتال كان سبباً في هزيمتهم وانسحابهم مساء نفس اليوم[٢]، باتجاه جبل تينملل[٣].

ومما ساعد المنهزمين من الموحدين على الانسحاب، وكان من لطف الله كما يذكر ابن القطان، أن الأمطار هطلت بغزارة تلك الليلة، مما حال دون ملاحقتهم من طرف المرابطين[٤].

وقد اعترف البيذق - وهو رفيق ابن تومرت ومشارك في أحداث المعركة ـــ بالهزيمة التي نزلت بالموحدين قبل مغيب شمس ذلك اليوم[٥]، كذلك أشار ابن القطان ـــ وهو من أشد المدافعين عن الموحدين وسلطتهم ـــ بأن

جموع الموحدين صلوا عصر ذلك اليوم وقد حلت بهم الهزيمة في البحيرة[٦].

وأما صاحب الحلل الموشية فيذكر أن الفريقين التقوا " لقاءً ثبت الله فيه أقدام المرابطين، وهزم الموحدين، وسائر المصامدة "[٧]، وأما ابن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) فيؤكد أن الموحدين " كسروا كسرة شنيعة "[٨]

---

(١) أخبار المهدي بن تومرت، ص ٤٠.

(٢) أخبار المهدي بن تومرت، ص ٤٠ ؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦٥.

(٣) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦٥.

(٤) نظم الجمان، ص ١٦١.

(٥) أخبار المهدي بن تومرت، ص ٤٠.

(٦) نظم الجمان، ص ١٦١.

(٧) مجهول، ص ١١٥.

(٨) وفيات الأعيان، جـ٥، ص٥٣.

في هذه الموقعة التي عرفت عند المؤرخين باسم " وقعة البحيرة"، و " عام البحيرة " [١].

وكما اختلفت المصادر الموحدية في إحصاء عدد الجيش الموحدي قبل المعركة، فقد اختلفت أيضاً في تعداد قتلاهم في معركة البحيرة، فابن القطان يذكر أن قتلى الموحدين بلغ نحواً من "أربعين ألفاً، ولم يسلم منهم إلا أربعمائة بين فارس وراجل"[٢]، ثم تأسى على قبيلة هيلانة التي كان القتل فيها ذريعاً ذلك اليوم، حيث أحصى زهاء اثنى عشر ألف قتيل منهم، معللاً ذلك بأن الموحدين كانوا قد أكثروا الحشد منهم للمعركة[٣].

وينقل صاحب الحلل الموشية هذا الرقم من القتلى عن ابن القطان[٤]، في حين حين أن البيذق الذي كان حاضراً ذلك اللقاء، وشهد الهزيمة المذلة على يد المرابطين لم يقدم رقماً محدداً، واكتفى بالقول: " نجا الموحدون، ومات من مات، وافترق الناس"[٥].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص ٥٧٧ ؛ ابن الخطيب، شرح رقم الحلل في نظم الدول، ص ١٩٨ ؛ النويري، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب، ص ٤٠٤.

(٢) نظم الجمان، ص ١٦٥.

(٣) نظم الجمان، ص ١٦٣ ؛ ابن عذاري البيان المغرب، جـ٤، ص ٧٦ (نقلاً عن ابن القطان).
).

(٤) مجهول، ص ١١٥، ١١٦.

(٥) أخبار المهدي بن تومرت، ص ٤٠.

ويبدو أن الرقم كان مرتفعاً، بدليل أن القتل طال عدداً من أهل جماعة ابن تومرت، وكان من أهم من طوت موقعة البحيرة أخبارهم قائد الموحدين الكبير المقدم في هذه المعركة البشير الونشريشي، أحد العشرة من أصحاب ابن تومرت، وصاحب العرض والتمييز، فقد ذكر صاحب الحلل الموشية أنه قد قُتل[١]، في حين يذكر ابن القطان أنه فُقد مع جماعة من أهل جماعة ابن تومرت، فل يجده الموحدون ولا المرابطون لا حياً ولا ميتاً[٢]، وفي ذلك قال الغلاة من الموحدين أنه رفع إلى السماء[٣].

ولكن ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) ينص على أن عبدالمؤمن بن علي قد دفن البشير الونشريشي، ولم يحدد موضعاً لذلك[٤]، ويبدو أن قصد الغلاة من إشاعة مسألة رفعه إلى السماء محاولة التهوين من شدة الكارثة التي حلت بالموحدين في هذه الواقعة الكبيرة.

إلى جانب مقتل البشير فقد أسفرت الهزيمة عن خسارة نصف أهل الجماعة من العشرة أصحاب ابن تومرت[٥]، وسلم نصفهم[١]، بينما حُمل أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي[٢] جريحاً على الأعناق[٣].

---

(١) مجهول، ص ١١٦.

(٢) نظم الجمان، ص ١٦١ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ ٤، ص ٧٦ (نقلاً عن ابن القطان).

(٣) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦٥ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص ٥٧٧ ؛ النويري، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب، ص ٤٠٤.

(٤) الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص ٥٧٧، وعنه ينقل النويري ذلك دون تصريح في كتابه تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب، ص ٤٠٤.

(٥) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦١، ١٦٣.

ولما جُنَّ الليل تداول الناس جرحاهم، ودفنوا من أمكنهم دفنه، ثم أردف الناس بعضهم بعضاً، ورحلوا في حماية المطر الذي منع مجموعة من جنود المرابطين من مطاردتهم، كما مكَّن الموحدين من مدافعة من اعترضهم

على طريق عودتهم، بفضل من الله ثم قيادة وتدبير عبدالمؤمن بن علي(٤)

=

(١) الذين سلموا هم: عبدالمؤمن بن علي، وأبو حفص عمر بن علي، وأبو إبراهيم، وأبو حفص بن يحيى، وعبدالله ابن ملوية. [ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦٣].

(٢) أبو حفص عمر: أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاني المعروف بعمر إينْتي أو بنتي، نسبة إلى جدهم هنتات المسمى بهذا الاسم، ويسمى أيضاً " عمر ومزال "، واسمه الأصلي " فَصْكَة بن ومزال " شيخ قبيلة هتاتة، أعظم قبائل المصامدة البربرية، وجد الحفصيين بإفريقية، كان عمر إينتي من العشرة الأُول الذين أسرعوا إلى إجابة ابن تومرت وصحبته، وهم المسمون بالجماعة، وقد غير ابن تومرت اسمه إلى عمر، وكناه أبا حفص، وكان يطلق عليه " المبارك " ثم كان من ضمن الجماعة الموحدية التي اتفقت على تقديم عبدالمؤمن بن علي بعد وفاة ابن تومرت، وفي عهده تولى قيادة الجيوش الموحدية العابرة إلى الأندلس، لضمها إلى الحوزة الموحدية، ولما عبر إليهم عبدالمؤمن ولاه قرطبة وأعمالها، ثم وزر للخليفة أبي يوسف يعقوب حتى قتل في الجهاد بديار النصارى سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م. [عبدالواحد المراكشي، المعجب، ص ٢٥٥، ٢٦٢، ٢٦٧، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩٣، ٣٣٧، ٤٢٠، ٤٢١ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٢٤ ؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٧٦ ـ ٢٧٨ ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص ٦ ؛ ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، ص ١٠٢].

(٣) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦١.

(٤) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦١.

وكان على رأس المنهزمين ـ بعد حشود أهل أعمات هيلانة، قبيلة هزرجة[١]، يتبعهم عبدالمؤمن بن علي مع طلبة أغمات، إلى موضع يقال له "آيمس إن الزات"، حيث كان الطلوع من هناك إلى جبل درن وصولاً إلى تينملل، وقد خاف عبدالمؤمن من خيانة هزرجة فندب خمسين رجلاً ليحرسوا باب السفح المؤدي إلى تينملل، خوفاً من أن يقفله الهزرجيون في وجوههم، وهكذا تمكن عبدالمؤمن ومن معه من الوصلو إلى تينملل سالمين[٢].

وهناك طلب عبدالمؤمن بن علي من أبي بكر بن علي الصنهاجي المعروف بالبيذق، الإسراع نحو ابن تومرت لإخباره بما حدث في البحيرة من هزيمة كبيرة، وقتل مربع لحق بالموحدين، وزاده فداحة مقتل القائد البشير الونشريشي[٣].

وقد دوَّن أحداث معركة البحيرة وزمن وقوعها العديد من المؤرخين، ولكن فقدت كتاباتهم ولم تصل إلينا[٤]، وهم مجمعون كما يذكر ابن القطان ـ وهو من أشهر المؤرخين الموالين للسلطة الموحدية ـ أنها كانت يوم السبت الثاني من جمادى الأولى من عام ٥٢٤هـ[٥]، المقابل للثالث عشر من شهر أبريل سنة ١١٣٠م.

---

(١) هزرجة: قبيلة مصمودية، كانت تسكن جبال الأطلس الكبير خلف مراكش، يرد ذكرها كثيراً في أخبار المرابطين والموحدين، وقد أفنتها الحروب حتى تبددت في القبائل، ولم يبق منها إلا بقايا يسكنون اليوم الصحراء الغربية، ويعرفون بالنسبة إلى القبيلة الهزرجيين "الأزرجيين". [البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٢٣، ٤٠، ٧٢، ٩١؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٢٩؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٢٩].

(٢) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٤٠؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦٣.

(٣) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٤٠؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦٣.

(٤) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦١.

(٥) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦١.

ولدينا رواية موحدية أخرى تعضد رواية ابن القطان، وتؤكد صحتها، وهي رواية أبي بكر الصنهاجي المعروف بالبيذق ـــ أحد أصحاب ابن تومرت ومرافقيه ـــ والذي شهد الموقعة، وأرَّخ لها، وهي تضع تاريخ المعركة في سنة ٥٢٤هـ، حيث توفى أبن تومرت بعد معركة البحيرة بحوالي ثلاثة أشهر[١]، وأنها كانت في شهر إبريل، ولذا يسمى الموحدون العام الذي توفي فيه ابن تومرت وهو عام ٥٢٤هـ بعام البحيرة[٢]، لما كان فيه من الهزيمة والوفاة في عام واحد.

وهذا التحديد يأخذ به العديد من المؤرخين[٣]، إلا اليسع الغافقي(ت ٥٧٥هـ/١١٧٩م)[٤] الذي

---

(١) أخبار المهدي بن تومرت، ص٤١ ـ ٤٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص ٥٧٧ ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٥، ص ٥٣.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ١٠، ص ٥٧٦، ٥٧٧ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٣٠ ؛ الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص٧.

(٤) اليسع الغافقي: أبو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم بن عبدالله الغافقي الجياني البلنسي، من أهل جيان، وسكن أبوه المرية، حيث ولد بها في مطلع القرن السادس الهجري، طلب العلم في بداية حياته بالأندلس، ثم رحل إلى المغرب فمصر، حيث استقر هناك في كنف الأيوبيين، وهو صاحب الخطبة بقطع الدعوة الفاطمية في مصر أيام صلاح الدين الأيوبي، = =صنف كتاباً في تاريخ المغرب سماه "المغرب في محاسن المغرب"، وآخر في أخبار فقهاء الأندلس، توفي بالقاهرة سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م.[ابن الأبار، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، ص٣٢٢، ٣٢٣ ؛ معجم شيوخه، ص٢٢٣، ٢٢٤ ؛ ابن الزبير، صلة الصلة، ص٣٦٦ ؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، جـ٢، ص٧٢ ؛ السيوطي، حسن المحاضرة، جـ١، ص٤٠٩ ؛ المقري، نفح الطيب، جـ٢، ص٣٧٩ ؛ حمد بن صالح =

يحدد تاريخها بسنة ٥٢١هـ/١١٢٧م، لكن ابن القطان يعارضه ويقول بعد أن نقل عنه ذلك: "ما أراه إلا وهماً "[١]، وهو الوهم الذي وقع فيه ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م) أيضاً، الذي يجعل تاريخ المعركة سنة ٥٢٢هـ/١١٢٨م ويقول: " كانت وفاة المهدي لأربعة أشهر بعدها "[٢].

وأيضاً عبدالواحد المراكشي (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م) الذي جعل تاريخ المعركة سنة ٥١٧هـ/١١٢٣م، على الرغم من أنه عاد بعد ذلك وجعل وفاة ابن تومرت سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م[٣]، ولعل رحيله إلى المشرق، وترك مصادره وأوراقه خلفه بالمغرب، واعتماده في تأليف كتابه المعجب على ما علق بذاكرته، أدى إلى اضطراب الكثير من رواياته عن تاريخ الموحدين[٤].

ولكن المستشرق الأسباني هويثي ميراندا Huici Miranda يخالف هذا التحديد فيما يتعلق باليوم والشهر فقط، ويرى أن المعركة كانت يوم الثاني عشر من شهر جمادى الآخرة الموافق للثالث عشر من شهر مايو، ويسوق عدة دلائل لتأكيد ذلك؛ منها أن الموحدين بعد خروجهم من تينملل مكثوا أربعين يوماً قبالة مراكش[٥].

=

السحيباني، اليسع الغافقي وجهوده في البحث التاريخي، مجلة المؤرخ المصري، القاهرة، العدد٢١، ١٩٩٩م، ص١١ ـ ٥٤].

(١) نظم الجمان، ص ١٦١.

(٢) العبر، جـ٦، ص ٢٢٩.

(٣) المعجب، ص ٢٢٥٩ ـ ٢٦٢.

(٤) ص ٢٤.

(٥) التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ص ٨٠.

ويتفق الباحث مع تلك الرؤية فيما يتعلق بالشهر فقط ؛ لأن الأمير علي بن يوسف احتفل في الحشد لملاقاة الموحدين، ثم برز إليهم لأربعين يوماً من نزولهم عند أسوار مراكش، وهذا يؤكد أن المعركة وقعت بعد أربعين يوماً من التاريخ الذي وضعه ابن القطان وهو ما يتفق والتاريخ الذي وضعه هويثي ميراندا فيما يتعلق بالشهر فقط، أما اليوم فهو السادس من شهر جمادى الثاني الموافق الثالث والعشرين من شهر مايو.

ثالثاً: يوم البحيرة الثاني (وقعة حومة أغمات)[١]:

لم يرد الأمير المرابطي علي بن يوسف بعد يوم البحيرة، أن يضيع الفرصة من بين يديه، إذ عمل سريعاً على استغلال هزيمة الموحدين في هذا اليوم ؛ للقضاء على من بقي منهم ممن نجا من القتل في المعركة، لذا أدركت القوات المرابطية أثر المنهزمين من الموحدين[٢]، بموضع يقال له " حومة أغمات "، وذلك في أربعة جيوش يقودها كل من: أبو بكر سير بن واربيل، ومسعود بن ورتيغ، ويحيى بن سير، ويحيى بن كانجان[٣].

وكان عبدالمؤمن بن علي يسير أثناء لحاق المرابطين بهم، ومعه عدد غير قليل من أهل أغمات هيلانة، ومن عاد إليه من هنتاته، وجنفيسة[٤]، وغيرها من قبائل

---

(١) موقع بجهة أغمات كما يبدو من الاسم، ويمكن مراجعة ما كتبه الباحث سابقاً عن مدينة أغمات وقاطنيها من قبائل وريكة وأيلان.

(٢) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦٢ ؛ مجهول، الحلل الموشية، ص ١١٦.

(٣) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٤٠.

(٤) جنفيسة: قبيلة كبيرة كانت تشتمل على بطون مستقرة بجبال المصامدة جنوب مراكش، مثل: زداغة، سكساوة، مدلاوة، وقد اندثر الآن اسم جنفيسة، ولكن أكثريه فروعها ما زالت =

المصامدة[١]، ولا شك أن هذه الجموع الموحدية مكنت عبدالمؤمن بن علي أن يقود عملية التصدي للقوات المرابطية التي تقتفي أثره.

ولم يقدم لنا البيذق، الذي حضر تلك الموقعة، وكان شاهد عيان ومشارك تفصيلات مهمة، إذ اكتفى بالقول: " اجتمعنا وتقاتلنا معهم بموضع يقال له ايكر متاع إن كورييت... فلما رأوا منا ما لا يطيقون رجعوا إلى مراكش، ونحن لتينملل "[٢].

ولا شك أن هذه الموقعة كانت بعد رجوع البيذق من مهمته التي كلفه بها عبدالمؤمن بن علي، وهي إبلاغ ابن تومرت في تينملل بما حدث في البحيرة، حيث لم يخبره بما استجد بعد ذلك من أحداث[٣].

ولكن ابن القطان يقدم تفصيلات أكثر حول ذلك اللقاء، عبر رواية أسندها إلى عبدالمؤمن بن علي قائد المواجهة. يذكر فيها عبدالمؤمن أنه عندما ضيقت القوات المرابطية عليه وعلى من كان معه من بقايا الموحدين الخناق، اضطر إلى المواجهة والدفاع عن نفسه ومن معه، بعد مشاورة عبدالله بن يعلي بن ملوية[٤]، الذي اقترح

=

معروفة بأسمائها، ومستقرة في مواطنها كما كانت في فترة الحكم الإسلامي.[البيذق، الأنساب في معركة الأصحاب، ص٤٧، ٤٨؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢١٨].

(١) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٤١.

(٢) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٤٠، ٤١.

(٣) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٤٠.

(٤) ابن ملوية: عبدالله بن يعلى، أو يعلاتن التازي الزناتي، المعروف بابن ملوية، كان من كبار أعوان ابن تومرت وقواده، وأحد أهل الجماعة العشرة، عينه ابن تومرت في رئاسة قبيلة جنفيسة، لكنه كان أول ثائر عليه، عندما خرج عن دعوته بعد خروجه من تينملل، وانضم إلى جيش الأمير المرابطي علي بن يوسف، لكن ظفر به الموحدون، وقتلوه على يد بعض

=

تقسيم من بقي من الموحدين إلى قسمين: أحدهما الميمنة بقيادة عبدالمؤمن بن علي، يضرب به جهة المرابطين اليمنى، بينما القسم الآخر يقوده هو شخصياً ـ أي عبدالله بن يعلى ـ يتجه لضرب جهة الموحدين اليسرى[١].

وبهذا التقسيم كما يذكر ابن القطان في روايته التي أسندها إلى عبدالمؤمن كما أشير آنفاً، هزمت القوات

المرابطية بعد أن تفاجأت بهذه الخطة، وولت الأدبار عائدة إلى مراكش، فطاردهم الموحدون حتى أبواب المدينة[٢]، وضربوا الحصار حولها مرة أخرى في رجب من تلك السنة، ولكن عبدالمؤمن اعتبر بما وقع للموحدين في الحصار الأول، فاكتفى بنصره هذا، وعاد بقواته الباقية إلى تينملل[٣].

=

زعماء جنفيسة، ثم صلبوه بتينملل سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م، وقد شكر لهم عبدالمؤمن هذه الفعلة.[البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٦٨، ٨٥، ١٥٥؛ المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، ص٣١؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص١٢٨، ١٦٢، ١٦٣؛ هويثي ميراندا، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ص٨٠، ٩٤، ٩٧، ١٠٢، ١٠٣].

(١) نظم الجمان، ص ١٦٢.

(٢) نظم الجمان، ص ١٦٢.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٤، ص ٨٣؛ الناصري السلاوي، الاستقصا، جـ١، ص ٢٣٩.

ويلاحظ أن ابن أبي زرع خالف المؤرخين في نتيجة معركة البحيرة، وجعلها نصراً للموحدين.[الأنيس المطرب، ص٢٣٠] وما هذا إلا لأنه خلط بين معركة البحيرة عند أبواب مراكش، والمعركة الأخرى بعدها في جهة أغمات، فلم يتطرق للأحداث الأولى بعد حصار مراكش، ودمج أحداث المعركة التي وقعت بأغمات على أنها وقائع البحيرة.

ورغم ما في ظاهر هذه الرواية من إشادة بدور عبدالله بن ملوية ـ وهو من أهل جماعة ابن تومرت ـ في هذا اللقاء المصيري[١]، إلا أن رفع منزلته، وإعلاء قدره في ظل حضور عبدالمؤمن، لم يكن ليستقيم مع منهج ابن القطان الممعن في إعلاء شأن عبدالمؤمن، وإبراز بطولته وفروسيته في معركة البحيرة وتوابعها[٢]، تأكيداً على ما سيكون من أحقيته بخلافة ابن تومرت بعد وفاته.

وهنا نجد ابن القطان يضعف أمر ابن ملوية، إذ ينقل عن عبدالمؤمن قوله: " كان عاقبة عبدالله ما اختاره لنفسه أنه من أصحاب الشمال "[٣].

ومن المؤكد أن ابن القطان حشر اسم عبدالمؤمن في هذه الرواية التي تتضمن تنبؤات مستقبلية للدلالة على فراسة عبدالمؤمن، وأحقيته بقيادة الموحدين، والحط من مكانة ابن ملوية الذي اختار أن يكون من أصحاب الشمال ـ ويقصد بهم المرابطين ـ منذ أن خاض هذا القائد ذلك اللقاء قائداً لقسم الميسرة من الموحدين، في حين قاد عبدالمؤمن الميمنة مع الموحدين أصحاب اليمين.

وكان ابن ملوية قد خرج عن دعوة الموحدين بعد هذه الأحداث، وتحديداً عند إعلان خلافة عبدالمومن بن علي بعد وفاة ابن تومرت، وانضم إلى صفوف المرابطين[٤]، فكان أول ثائر يثور على الموحدين ودعوتهم.

وأما رواية صاحب الحلل الموشية عن يوم البحيرة الثاني المعروف بوقعة حومة أغمات فقد تضمنت التصريح بأن المرابطين قد تتبعوا فلول الموحدين إلى أغمات،

---

(١) ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٢٥ ـ ١٢٨ ؛ مجهول، الحلل الموشية، ص ١٠٨.

(٢) انظر ذلك في نظم الجمان، ص١٦٠، ١٦٢، ١٦٣.

(٣) نظم الجمان، ص١٦٢.

(٤) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص ٤٦، ٨٢.

وأمعنوا فيهم القتل هناك، بحيث لم ينج منهم إلا النزر اليسير، وهم الذين استطاعوا النجاة والصعود إلى جبل تينملل[١]، وكان عددهم خمسين رجلاً[٢].

وجماع القول، أن توغل الموحدين بعيداً عن مركزهم في جبل تينملل، والعنت والنصب الذي لاقوة في مسيرهم إلى مراكش، وتناقص عددهم بعد عملية التمييز، واستعانة المرابطين بجند الأندلس، فضلاً عن تلك الكتائب التي تراصت داخل وخارج مراكش للقتال ضد الموحدين، الذين أرهقتهم المعارك المتوالية التي اضطروا لخوضها أثناء الحصار، كل هذه العوامل مجتمعة أدت إلى تلك الهزيمة الكبيرة للموحدين في موقعة البحيرة.

أثر هزيمة البحيرة على مسار الدعوة الموحدية، واجراءات ابن تومرت لتداركها:

عادت البقية الباقية من الموحدين إلى قاعدتهم ومركز دعوتهم تينملل، في وقت كان المرض يفتك بابن تومرت داعيهم وقائد ثورتهم على الدولة المرابطية، ولكن المرض لم يمنعه من اتخاذ بعض الإجراءات التي قصد من ورائها تأمين مركزه وأتباعه في تينملل من هجوم محتمل يشنه المرابطون بعد رجحان كفتهم بمعركة البحيرة، فضلاً عن ترتيب البيت الموحدي من الداخل، والذي تأثر ولا شك بما كان في البحيرة، من هنا فقد كان شغل ابن تومرت الشاغل خلال الأشهر الثلاثة التي تفصل هزيمة البحيرة عن تاريخ وفاته هو معالجة آثار معركة البحيرة، على الصعيدين السياسي والعسكري، والتي كانت على النحو التالي:

أولاً: رفع الروح المعنوية للموحدين.

---

(١) مجهول، ص ١١٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٤، ص ٧٦ (نقلاً عن ابن القطان).

ما أن وصل بقية الموحدين الذين نجوا من أُتون معركة البحيرة وما تلاها إلى تينملل، حتى سارع ابن تومرت ــ رغم اشتداد المرض عليه ــ إلى تدارك آثار هذه النكسة، ومحاولة استعادة ثقة الموحدين في قيادته، وأفكاره ؛ لأن الكثيرمن القبائل التي اتبعته تؤمن بأن السماء تؤيده، فهو بنظرهم "المهدي المنتظر" الذي لا يمكن أن يُهزم[١].

لذا أخذ ابن تومرت يُهوِّن عليهم أمر الهزيمة، ويقرر عندهم أن قتلاهم شهداء ؛ لأنهم برأيه "ذابون عن دين الله، مظهرون للسنة "، وغير ذلك مما أثر فيهم، وساعد على رفع معنوياتهم، وزادهم" بصيرة في أمرهم، وحرصاً على لقاء عدوهم "[٢].

وقد بلغ إحساس ابن تومرت بعظم المصيبة، والخوف من تراجع إذعان القبائل له، والخشية من اشتداد المرض عليه، أنه استبق وصول عبدالمؤمن والبقية ممن نجا من المعارك، بأن أوصى من حضر أن يبلغ الغائبين أن " النصر لهم، وأن العاقبة حميدة فلا يضجروا، وليعاودوا القتال، وأن الله سبحانه وتعالى سيفتح على أيديهم، والحرب سجال، وإنكم ستقوون ويضعفون، ويقلون وتكثرون، وأنتم في مبدأ أمر وهم في آخره "[٣].

وقد احتال ابن تومرت كثيراً لتجديد ثقة الموحدين بدعوته، ورفع معنويات جيشه المهيض، فقد عمد إلى دفن بعض أتباعه وموضع سره أحياءاً بين مقابر قتلى معركة البحيرة من الموحدين ، وجعل لكل شخص من هؤلاء الأتباع المدفونين ثقباً صغيراً يتنفس منه، واتفق معهم على أنه سوف يجمع القبائل ليلاً، وينادي شهداء

---

(١) عبدالله علي علام، الدعوة الموحدية بالمغرب، ص٢١٠.

(٢) عبدالواحد المراكشي، المعجب، ص ٢٦٠، ٢٦١.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، جـ٥، ص ٥٣.

المعركة فيجيبونه بإجابات اتفق معهم عليها، ووعدهم بأنه سيمنحهم أرفع المناصب إذا هم نجحوا في تمثيل هذا الدور أمام القبائل التي امتلأت سخطاً وحفيظة على ابن تومرت، ودبت فيهم روح الارتداد عن الدعوة الموحدية، التي فقدوا بسببها زهرة شبابهم، والكثير من فتيانهم ومقاتليهم[١].

ولما اجتمعت القبائل والعشائر ليلاً في مقابر قتلى البحيرة، أخذ ينادي حسب المتفق عليه: يا معشر الشهداء خبرونا بما لقيتم من الله عز وجل، فقالوا: وجدنا عند الله تعالى ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فلما سمع الحاضرون تلك الإجابة، تيقنوا أنها صادرة من شهداء معركة البحيرة، فهللوا وكبروا، وآمنوا بابن تومرت ودعوته، ورجعوا إلى قومهم يزفون البشرى، ويتحمسون لدخول معارك جديدة[٢].

ثانياً: بناء برج للمراقبة والإنذار.

تضافرت همة الموحدين على بناء برج لمراقبة من يحاول الوصول إليهم في معقلهم المنيع بأعلى جبل تينملل لمراقبة الطريق الوحيد الذي يمكن أن يأتي منه الخطر المرابطي، سماه ابن تومرت " برج تيطاف "[٣]، وجعل به طبلاً لإنذار جماعة

---

(١) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٣٤.

(٢) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ٢٣٤، ٢٣٥.

(٣) كلمة " تيطاف " بربرية يقصد بها " العسة " باللغة العربية، وبرج تيطاف أي برج الحرس في الاصطلاح العسكري المغربي القديم. [البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، حاشية المحقق، ص٤١].

الموحدين بالبلدة وقت الخطر، أو محاولة الهجوم عليهم، وعهد بالمسؤولية عنه إلى رجل من المقربين إليه اسمه عبدالسلام آغيْي[١].

وقد بلغ توجس الموحدين ورهبتهم بتينملل أن دق هذا الطبل ذات ليلة فجأة، فارتبك من بالبلدة من الناس والعسكر، وبدأوا يتجهزون لرد المهاجمين بعد هذا الإنذار، ولكن ما لبثوا زمناً إلا وقد صاح عبدالسلام مسؤول الطبل في الناس قائلاً: " لا، لا، الطبل أفلت لي "[٢]، أي دق الطبل من غير قصد، فهدأت النفوس، وسكنت حركة العسكر المتوثبين.

ولكن الأمر لم ينته عند هذا الحد، فقد استغل ابن تومرت الحادثة لرأب شيء من الصدع الذي أحدثته نكسة البحيرة في جماعته ومؤيديه، فقد اعتبر ما حدث أنه البشارة[٣]، بعدم غزو المرابطين لهم، وظهورهم عليهم بعد هذه النكسة.

ثالثاً: التمييز الأخير، واختيار قائد جديد.

بعد أيام من المقام بتينملل سير ابن تومرت رسله إلى القبائل الموالية له، يدعوهم إلى الاستعداد للعرض

والتمييز، ليس استعداداً لمتابعة القتال ضد المرابطين فقط[٤]، وإنما رغبة في لم الشتات، ورص الصفوف بعد الهزيمة في البحيرة.

---

(١) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٤١.

(٢) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٤١.

(٣) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٤١.

(٤) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٤١

وكانت بداية التمييز بقبيلة ابن تومرت " هرغة " نظراً لغياب طلاب ابن تومرت من قبيلة "جنفيسة "، الذين حضروا متأخرين بعد تمام تمييز قبيلة هرغة، واعتذارهم بعدم سماعهم النداء عليهم[١].

ولكن الأمر أثار يملوك بن علي المكنى بعمر أصناج ـــ وهو أحد السابقين إلى نصرة ابن تومرت ومن أهل جماعته العشرة ـــ فما كان من ابن تومرت إلا أن أمر بإعادة التمييز، وعمل على استرضاء عمر أصناج، وذلك بأن أمر بجواز فرسه بعد جواز قبيلة ابن تومرت هرغة[٢]، تأكيداً منه بأن عمر أصناج قد أصبح الرجل الثاني في الجماعة بدلاً من البشير الونشريشي الذي فُقد ـــ كما يقال ـــ في معركة البحيرة.

بل وأكد ابن تومرت مكانة عمر أصناج هذه عندما أخذ القلم بعد الفراغ من التمييز، وكتب عبارة "محمد بن عبدالله ثم عمر بن علي أصناج "، بعدها انصرف الموحدون، وعاد عمر أصناج مع أهل تينملل[٣]، دلالة على أنه أصبح مميزاً برسم أهل هذه البلدة.

رابعاً: غيبة ابن تومرت ثم وفاته.

كان التمييز المذكور آنفاً، والترسيم لعمر أصناج هو آخر أعمال ابن تومرت على رأس الدعوة الموحدية، إذ دخل داره، وغاب عن أنصاره مدة ثلاثة أشهر[٤]، كان خلالها يعاني المرض[٥].

---

(١) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٤١

(٢) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٤١.

(٣) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٤١.

(٤) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٤١ ؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦٣.

(٥) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٤١.

وكانت بداية تلك الغيبة عندما دعا ابن تومرت الموحدين إلى اجتماع بدأه بالموعظة، ثم قال لهم: "أنا مسافر عنكم سفراً بعيداً"، فضج المجتمعون بطلب البقاء منه، وطلبوا صحبته إلى المشرق إن كان يريد ذلك، فقال لهم: "ليس هذا سفر يسافره أحد معي، إنما لي وحدي"، ثم دخل داره، ولم يره أحد بعدها[١]، إلا الذين حضروا معه غيبته[٢].

ولا شك أن ابن تومرت قد تأثر تأثراً شديداً لهزيمة البحيرة، وأصابته هذه النكسة في الصميم، وتسرب اليأس بعدها إلى نفسه، واشتدت عليه وطأة الانفعال والضغوط النفسية، ولم يتحمل نبأ الصدمة، رغم رباطة الجأش التي أظهرها لدى سماع الخبر من رسول عبدالمؤمن بن علي، فاشتد به المرض الذي أودى بحياته.

وأما وفاة داعي الموحدين ومهديهم محمد بن تومرت فالدارج عند المؤرخين أنها كانت في شهر رمضان من سنة ٥٢٤هـ، الموافق لشهر أغسطس من سنة ١١٣٠م[٣].

---

(١) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٤١، ٤٢؛ وانظر هذه الرواية بصيغة أخرى عند صاحب الحلل الموشية، ص١١٧.

(٢) هم: عبدالمؤمن بن علي، وأبو إبراهيم إسماعيل ايجيج، وعمر أصناج، وأبو محمد وسنار، وأخت ابن تومرت أم عبدالعزيز بن عيسى، وكانت تعاليم المهدي وأوامره خلال هذه الفترة من الغيبة تعلن على الملأ بمعرفة أبي محمد وسنار. [البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٤٢].

(٣) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت، ص٤٣؛ ابن القطان، نظم الجمان، ص١٢٣؛ مجهول، الحلل الموشية، ص١١٧؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٣٠؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص١٣٦.

ومنذ غيبة ابن تومرت لم يكن هناك منافس لعبدالمؤمن بن علي، الذي انفرد بالسلطة والنفوذ، وكتم أصحابه وفاته، ولم يعلموا أحداً بذلك إلى أن أقاموا بعده عبدالمؤمن بن علي[١].

ولا شك أن إحاطة موت ابن تومرت بالكتمان الشديد، كان هدفه جمع كلمة الموحدين، فالهزيمة الكبرى على يد المرابطين بالبحيرة، وما قد تكون أحدثته من زعزعة الثقة بابن تومرت ومقولاته، ثم الفجيعة في فقدانه، وما قد يترتب عليها من خلل في الصفوف، كفيلتان بتقويض الثورة الفتية، وإغراقها في ظلال النسيان، فما تذكر بعد ذلك إلا كانتفاضة عابرة لم تغير وضعاً، ولم تحدث أثراً ذي بال.

خامساً: تهيئة عبدالمؤمن بن علي لقيادة الموحدين خلفاً لابن تومرت.

يبدو أن خروج جموع الموحدين لحصار مراكش وقتال المرابطين دون أن يكون داعيهم ابن تومرت الذي أقعده المرض في تينملل معهم[٢]، دافعاً له بأن يطيل التفكير في شأن تهيئة خليفة له، يقود الموحدين في صراعهم المرير والطويل ضد المرابطين.

ولعله انتهز فرصة وصول أبي بكر البيذق ـ مبعوث عبدالمؤمن بن علي إليه بخبر موقعة البحيرة ـــ فسأله ابن تومرت: عبدالمؤمن في الحياة ؟، فقال: نعم، فقال ابن تومرت: الحمدلله رب العالمين، قد بقي أمركم، ثم سأل مرة أخرى، هل جرح ؟ فقال البيذق: شج في خده الأيمن، فقال ابن تومرت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الأمر باق، ثم قال للبيذق: ارجع إليه، وقل له الأمر باق، و لا تجزعوا[٣].

---

(١) مجهول، الحلل الموشية، ص ١١٧، ١٤٢، ١٤٣.

(٢) البيذق، أخبار المهدي بن تومر، ص٤٠. وانظر هذه الرواية بصيغ أخرى عند: ابن القطان، نظم الجمان، ص ١٦٣ ؛ مجهول، الحلل الموشية، ص ١١٦.

(٣) أخبار المهدي بن تومرت، ص٤٠.

فرجع البيذق كما أُمر بالجواب إلى عبدالمؤمن بن علي، وهو في موضعه، فلما أخبره بما ذكر ابن تومرت في شأنه، فرح بذلك ومعه بقية من نجا، خصوصاً وأن هذه الهزيمة غير المتوقعة بالنسبة لهم قد جعلته الرجل الأول في قيادة قوات الموحدين، بعد مقتل منافسه اللدود البشير الونشريشي وما أظهره من شجاعة ومهارة قيادية.

ومن الواضح أن ثبات ابن تومرت عندما بلغه خبر الهزيمة الكبرى، وعدم جزعه الظاهر، ورده البيذق لإخبار عبدالمؤمن بأن الأمر ما زال باقياً، كان يعني حث عبدالمؤمن على التماسك والثبات، وبث العزيمة في الرجال، وأن الهزيمة لا تعني النهاية، بل إنَّ في الأمر بقية[١].

وفي ذلك كانت فرصة عبدالمؤمن بن علي ليعيد تنظيم الموحدين الباقين معه، انتظاراً لملاقاة قوات المرابطين القادمة لاستئصال الموحدين ووضع نهاية لمقاومتهم، وهو ما كان.

سادساً: التوقف عن قتال المرابطين لقتال القبائل المنشقة.

في محاولة من الموحدين لتجاوز أزمتي الهزيمة والوفاة، ومتابعة المسيرة بعد إعادة التنظيم، وأخذ العبرة من نكسة البحيرة، قضوا ما تبقى من سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م، والسنة التي تلتها، وادعين في قاعدتهم الحصينة في بلاد المصامدة تينملل، متوقفين عن الغزو خارج حدودهم، كاتمين لوفاة مهديهم ابن تومرت[٢] ؛ وذلك حتى يتسنى لهم رص صفوفهم، وإعادة ترتيب أوضاعهم الداخلية.

---

(١) سعد زغلول عبدالحميد، تاريخ المغرب العربي: الموحدون مصامدة السوس الجباليون ورثة المرابطين، جـ٥، ص٢٦١.

(٢) ابن القطان، نظم الجمان، ص٢٢٢.

فقد عادت الكثير من القبائل إلى طاعة الدولة المرابطية، بعد أن استمر الأمير علي بن يوسف (٥٠٠ـ ٥٣٧هـ/١١٠٦ـ١١٤٢م) بعد وقعة البحيرة " يوالي الحروب من قبله على الموحدين، ويأمر عساكره بملازمة السكنى ـ أي المراصد والحصون قرب مراكش ـ حيث بقيت لهم الطاعة من أهل الجبال "[١].

إلا أن إحدى حملاته على معاقل الموحدين الجبلية جاءت بنتائج عكسية، بعد أن وجه إليهم قواته بقيادة أخيه إبراهيم، فانكسرت أمام الموحدين من غير قتال وغنم الموحدون أسلحتهم، وما تركه المرابطون في محلتهم التي أقاموا بها[٢]، وربما مرجع ذلك إلى طبيعة الدروب الجبلية الصعبة.

وقد شاع ذكر هذه الهزيمة ببلاد المصامدة، مما رفع الروح المعنوية للموحدين، ودعمهم بعناصر مقاتلة جديدة، بعد أن كثر الوافدون إليهم، معلنين الطاعة إثر ذلك[٣].

ولكن مع ذلك يبدو أن الأمير علي بن يوسف كان يعطي الأولوية بعد هزيمة الموحدين في البحيرة لجهاد النصارى بالأندلس، بعد أن أغفل شؤونها فترة من الزمن، فعاد إلى العناية بها[٤]، فقد استأنف ذلك منذ سنة ٥٢٥هـ/١١٣١م[٥]، ولعله اعتبر

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٤، ٨٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٤، ٨٥.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٤، ٨٥.

(٤) يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، جـ١، ص ٢٠٣ ؛ هويثي ميراندا، علي بن يوسف وأعماله في الأندلس، مجلة تطوان، الجامعة المغربية، كلية الآداب، معهد مولاي الحسن، تطوان، العدد ٣ و ٤، ١٩٥٨ ـــ ١٩٥٩م، ص ١٧٣.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٤، ٨٤.

سكون الحركة الموحدية إثر الهزيمة ثم الوفاة، بمثابة هدنة قد يعقبها استسلام وطاعة منهم، أو القضاء عليهم قبل ذلك.

ولكن بعد أن استرد الموحدون شيئاً من قوتهم، ثم ترعرعت حركتهم حتى عظم شأنهم، عندها لم يجد الأمير علي بن تاشفين بداً سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م، من استدعاء ابنه وولي عهده تاشفين[١] ـــ بطل المعارك الأندلسية ـــ ليواجه بهم الخطر الموحدي الداهم في الداخل[٢]، ولكن بعد فوات الأوان لأن "دولة عبدالمؤمن في الإقبال، ودولته أخذت في الإدبار "[٣].

سابعاً: التوقف عن مهاجمة مراكش حتى سنة ٥٤١هـ/١١٤٧م.

---

(١) تاشفين بن علي: أبو المعز تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الصنهاجي اللمتوني، تولى في أيام أبيه غزو الفرنجة بالأندلس، ثم تولى حكم الدولة المرابطية بعد وفاة أبيه سنة ٥٣٧هـ/١١٤٣م، في فترة ظهر أمر الموحدين وانتشر سلطانهم، وملكوا كثيراً من بلاد المغرب، فكانت بينه وبين عبدالمؤمن بن علي حروب عظيمة، ووقائع كثيرة، حتى حاصره الموحدون بمدينة وهران، فخرج راكباً فرسه واقتحم البحر حتى هلك، وقيل سقط مع فرسه من حافة الحصن فتوفي، وذلك في شهر رمضان من سنة ٥٣٩هـ/١١٤٥م.[عبدالواحد المراكشي، المعجب، ص٢٧١، ٢٧٢ ؛ مجهول، الحلل الموشية، ص١٢١ ـ ١٣٤ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٤، ص١٠٠ ـ ١٠٤ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، جـ٢، ص١٩٢ ـ ١٩٦ ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٢٠٨، ٢٠٩].

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٤، ٩٦ ؛ مجهول، الحلل الموشية، ص١٢٠، ١٢١، ١٣٠ ؛ ابن خلدون، العبر، جـ٦، ص٢٣٠.

(٣) ابن أبي دينار، المؤنس، ص١٣٣. وانظر في تأثير ذلك على الأندلس: عصمت دندش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، ص٣٤؛ منى حسن محمود، تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الأمير المرابطي، ص٤٩ ـ ٨٥.

لقد كانت محاولة الاستيلاء على مراكش سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م مغامرة غير محسوبة العواقب من ابن تومرت، إذ غامر بالسماح لأنصاره بالنزول إلى السهل، الميدان المفضل لدى المرابطين الصحراويين حيث لا يجدون صعوبة في الكر والفر والمراوغة، يساعدهم على ذلك وضوح الرؤية لمراكز القوة عند أعدائهم، خلافاً لأهل الجبل من الموحدين الذين ألفوا عمليات الدفاع المفضلة لديهم على عمليات الهجوم، إذ يجدون في الجبل مأمناً خلفياً يقيهم المفاجأة، ومنه يشرفون على الجيوش المهاجمة ؛ ليسهل حصارها في الممرات الضيقة، ووضع الكمائن في التعرجات للإيقاع بالعدو[1].

ويبدو أن الانتصارات الصغيرة التي حققها الموحدون على المرابطين في عهد ابن تومرت، جرأتهم على النزول من الجبال الحصينة إلى المناطق السهلية المفتوحة، والسير إلى مراكش وحصارها، ولكن الهزيمة على أبواب مراكش جعلت الموحدين بعد وفاة داعيهم يصرفون النظر عن تكرار هذه التجربة المريرة طيلة سبعة عشر عاماً، حتى كانت مراكش هي آخر ما استولى عليه الموحدون بقيادة عبدالمؤمن بن علي (٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٣٠-١١٦٣م) من البلاد التي يملكها المرابطون بالمغرب، وذلك سنة ٥٤١هـ/١١٤٧م[2].

---

(١) راجع: محمد رابطة الدين، الأسس الجغرافية للحركة التومرتية، مجلة تايخ المغرب، الرباط، السنة الثانية، العدد الثاني، جمادى الثانية / أبريل ١٩٨٢م، ص ٥٥ - ٦٥ ؛ إبراهيم حركات، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، ص ١٥٨ ؛ حمد بن صالح السحيباني، النظم الحربية في دولة الموحدين بالمغرب والأندلس، ص ٨٦، ٢٠٢، ٢٣٦، ٢٧٥.

(٢) عبدالواحد المراكشي، المعجب، ص٢٧٠ ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، جـ٤، ص١٠٨.

ومن المفارقات أن عبدالمؤمن بن علي اتخذ في حصاره لمراكش بتلك السنة موقع البحيرة معسكراً لجنوده، واعتبرها " دار الفتح "[١] ، تخليداً لذكرى المعركة الأولى التي هزم فيها مع جماعته الموحدية قبل سبع عشرة سنة مضت.

وختاماً، فإن إحراز المرابطين للنصر في معركة البحيرة لم يمنع عنهم قدرهم المحتوم، وأن الأمل والثقة التي استودعها ابن تومرت تلميذه عبدالمؤمن بن علي غيرت مجرى الثورة الموحدية، ونقلتها إلى مرحلة جديدة.

موقع معركة البحيرة عند سور مراكش[٢]

(١) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص٢٨.

(٢) نقلاً عن: محمد عبدالله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (العصر الثالث، القسم الأول) ص ١٨٧ ، هويثي ميراندا، التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ص ٨١.

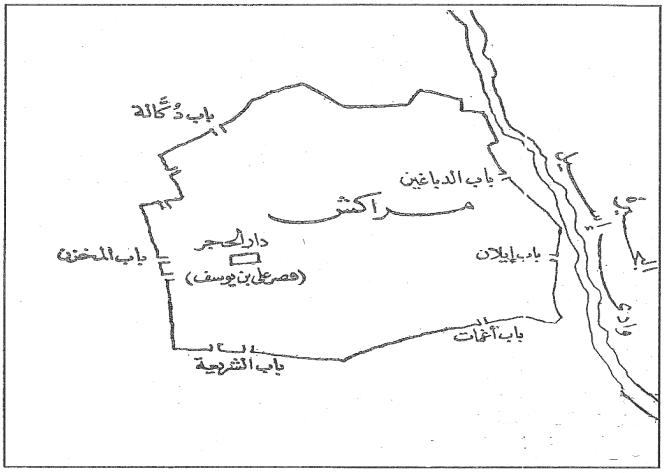
باب دكالة
باب الدباغين
مراكش
دار الحجر
(قصر علي بن يوسف)
باب المخزن
باب إيلان
باب أغمات
باب الشريعة

الخـاتمـة

لقد شكلت معركة البحيرة علامة بارزة في الصراع بين المرابطين والموحدين، وكانت هي آخر المعارك الكبرى التي خسرها الموحدون أمام المرابطين على عهد داعيهم ابن تومرت، الذي رأى فيها أشنع مأساة صادفته في حياته، وأنذرته بفشل محقق.

وكانت حدثاً فاصلاً بين مرحلة الغزوات الموحدية الصغيرة داخل جبال درن، أو على السفوح الأطلسية في عهد ابن تومرت، وخلال السنوات الأولى من عهد خليفته عبدالمؤمن بن علي، وبين مرحلة الزحف الموحدي الشامل عبر المسالك الجبلية الذي انتهى باستيلاء الموحدين على المغرب.

وقد خلصت هذه الدراسة التي تناولت أحداث معركة البحيرة، وأثرها على مسار الدعوة أو الحركة الموحدية إلى جملة من النتائج هي:

ـ أدت عمليات التمييز التي نفذها البشير الونشريشي في صفوف الموحدين بأمر من ابن تومرت، إلى إضعاف القوات الموحدية المتوجهة إلى حصار مراكش عددياً ومعنوياً.

ـ كانت محاولة الاستيلاء على حاضرة المرابطين مراكش في تلك الفترة مجازفة كبيرة من ابن تومرت، دفعة إليها دخوله في طور المرض الذي أودى به في النهاية، ولعله حاول أن يصل بدعوته إلى مراكش قبل أن يحين أجله.

ـ لم يتمكن المرابطون من فك الحصار عن حاضرتهم مراكش، وهزيمة الموحدين في البحيرة سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م إلا بفضل النجدات التي توافدت إلى مراكش، وخصوصاً من الأندلس وجزائرها الشرقية، ثم عساكر سجلماسة، في حين انقطع عنهم ذلك عند هجوم الموحدين على مراكش وحصارها ثم استيلائهم عليها سنة

٥٤١هـ/١١٤٧م، نظراً لاستيلاء الموحدين على كامل المغرب، وانشغال الأندلس بفترة الانتقال بين المرابطين والموحدين.

ـ تدخلت المصادر التاريخية الموالية للسلطة الموحدية في إضافة روايات على أحداث المعركة؛ لإثبات أحقية عبدالمؤمن بن علي بخلافة ابن تومرت، وخصوصاً ابن القطان مصنف كتاب " نظم الجمان" المعروف بشدة ولائه للسلطة الموحدية وأفكار مهديها ابن تومرت.

ـ أثرت المعركة في مسار الدعوة الموحدية، إذ قُتل فيها عدد كبير من أهل جماعة ابن تومرت، وقادة الصف الأول منهم، وأصيب بعضهم، الأمر الذي أتاح لعبدالمؤمن بن علي أن يبرز كقائد جديد عُقدت له البيعة؛ إما بوصاية من ابن تومرت على قول، أو اتفاق أهل الجماعة، لأنه أجنبي عن البلاد، دفعاً للحساسيات القبلية.

ـ أظهرت الحركة الموحدية قدرتها على امتصاص أثر حدثين بارزين هما الهزيمة الكبرى في البحيرة، ثم وفاة ابن تومرت بعد ثلاثة أشهر من قوعها، وذلك مرجعه فيما يبدو إلى طريقة بنائها الحربي، ثم العقدي الذي تولاة ابن تومرت قبل وفاته.

وختاماً. فإن حرب الجماعات الخارجة عن طاعة الدولة وسلطتها يتطلب صبراً ومثابرة مع طول نفس. فضلاً عن اتساق ذلك مع جهد فكري وعلمي يطال البيئات التي تأوي إليها تلك الجماعات. وتتحرك في مجالها.

المصادر والمراجع[١]

أولا: المصادر المطبوعة:

[١] ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي الأندلسي البلنسي (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م).

[٢] الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، الطبعة الثانية، سلسلة ذخائر العرب (٥٨)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

[٣] معجم شيوخ ابن الأبار الأندلسي، تحقيق محمود الدومي، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

[٤] المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

[٥] ابن الأثير: عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

[٦] الكامل في التاريخ، الطبعة الثامنة، دار صادر، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

[٧] الإدريسي: أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الحمودي الحسيني (ت على الأرجح سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م).

[٨] نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤ م.

[٩] البكري: أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد الأندلسي (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م).

---

(١) لم يأخذ الباحث بعين الاعتبار عند الترتيب الألفبائي ألفاظ "إبن، أبو، ابن أبي، بنت، ابن بنت، أل "في الترتيب الهجائي لهذه القائمة.

[١٠] المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

[١١] المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (جزء من كتاب المسالك والممالك)، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، (د. ت).

[١٢] البيذق: أبو بكر بن علي الصنهاجي.

[١٣] خبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

[١٤] أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبدالحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

[١٥] المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، دار المنصور، الرباط، ١٩٧١م.

[١٦] ابن تومرت: محمد بن عبدالله الهرغي المصمودي (ت ٥٢٤هـ/١١٣٠م)

[١٧] أعز ما يطلب، تحقيق عبدالغني أبو العزم، الرباط، مؤسسة الغني للنشر، (د. ت).

[١٨] الحميري: محمد بن عبدالمنعم (ت على الأرجح سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م).

[١٩] الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، الطبعة الثانية، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨٠م.

[٢٠] ابن الخطيب: لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد السلماني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م).

[٢١] الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبدالله عنان، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، المجلد الأول، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، المجلد

الثاني، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، المجلد الثالث، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، المجلد الرابع، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

[٢٢] أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق سيد كسروي حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

[٢٣] شرح رقم الحلل في نظم الدول، تحقيق عدنان درويش، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩٠م.

[٢٤] ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد الحضرمي الإشبيلي المغربي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م).

[٢٥] العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، اعتنى بتصحيح ألفاظها والتعليق عليها تركي فرحان المصطفى، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

[٢٦] ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م).

[٢٧] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الخامسة، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩م. ابن أبي دينار: محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني.

[٢٨] المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط٣، بيروت، دار المسيرة، تونس، مؤسسة سعيدان، ١٩٩٣م.

[٢٩] الذهبي: شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)

[٣٠] دول الإسلام، تحقيق حسن إسماعيل مروة ومحمود الأرناؤوط، ط٢، بيروت، دار صادر، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

[٣١] سير أعلام النبلاء، تحقيق محمد أيمن الشبراوي، القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

[٣٢] ابن الزبير: أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي (ت٧٠٨هـ/١٣٠٨م).

[٣٣] صلة الصلة، تحقيق جلال الأسيوطي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

[٣٤] ابن أبي زرع: علي ابن أبي زرع الفاسي.

[٣٥] الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

[٣٦] الزركشي: أبو عبدالله محمد بن إبراهيم.

[٣٧] تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، الطبعة الثانية، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٦م.

[٣٨] الزُهْري: أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (المتوفى في أواسط القرن السادس الهجري).

[٣٩] كتاب الجعرافية(١)، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د. ت).

[٤٠] ابن الزيات: يوسف بن يحيى التادلي (ت٦٢٧هـ/١٢٢٩م).

[٤١] التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق علي عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

[٤٢] ابن سعيد: نور الدين أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبدالملك الأندلسي الغرناطي (ت٦٨٥هـ/١٢٩٤م).

[٤٣] المغرب في حلى المغرب، تحقيق خليل المنصور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

[٤٤] السيوطي: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر محمد بن عثمان (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م).

[٤٥] حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق خليل المنصور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

[٤٦] الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي (ت٧٩٠هـ/١٣٨٨م)

[٤٧] ـ الاعتصام، تحقيق سليم بن عيد الهلالي، ط١، الرياض، دار ابن القيم، القاهرة، دار ابن عفان، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

[٤٨] عبدالواحد المراكشي: عبدالواحد بن علي التميمي المراكشي.

(١) من اللغات الجارية عند كُتاب المغرب والأندلس "الجعرافية" بالعين المهملة عوض الموحدة.

[٤٩] المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجمهورية العربية المتحدة (سابقاً) ١٣٨٣هـ/١٩٦٢م.

[٥٠] وثائق المرابطين والموحدين (منسوب إليه) (١)، تحقيق حسين مؤنس، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٧م.

[٥١] ابن عذاري: المراكشي.

[٥٢] البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، من جـ١ إلى جـ٣ تحقيق ج. س.

[٥٣] كولان، وليفي بروفنسال، والجزء الرابع (قطعة من تاريخ المرابطين) تحقيق إحسان عباس، الطبعة الخامسة، دار الثقافة، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

[٥٤] البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم الموحدين) تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، ومحمد بن تاويت، ومحمد زنيبر، وعبدالقادر زمامة، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

[٥٥] أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل نور الدين علي بن جمال الدين محمود بن محمد بن عمر شاهنشاه بن أيوب صاحب حماة (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م).

[٥٦] تقويم البلدان، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٧م.

(١) أثبتت الباحث في رأطروحته للدكتوراه أن حسين مؤنس قد أخطأ في نسبتها إلى عبدالواحد المراكشي، وأنها من جمع وتصنيف ابن فُتُوح السبتي (ت٤٦٢هـ/١٠٦٩م).

[٥٧] المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، وآخران، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، سلسلة ذخائر العرب، رقم (٦٩)، (د.ت).

[٥٨] ابن القاضي: أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م).

[٥٩] جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، القسم الأول، طبع سنة ١٩٧٣م، والقسم الثاني طبع سنة ١٩٧٤م.

[٦٠] ابن القطان: أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبدالملك الكتامي.

[٦١] نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.

[٦٢] القلانسي: أبو يعلى حمزة (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م).

[٦٣] ذيل تاريخ دمشق، القاهرة، مكتبة المتنبي (د. ت).

[٦٤] ابن قنفذ: أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني (ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م).

[٦٥] الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، وعبدالمجيد التركي، الدار التونسية، تونس، ١٩٦٨م.

[٦٦] ابن الكردبوس: أبو مروان عبدالملك بن الكردبوس التوزري (ت بعد سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م)

[٦٧] الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تحقيق عبدالقادر بوباية، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م.

[٦٨] المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م).

[٦٩] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الخامسة، دار صادر، بيروت، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

[٧٠] مؤلف مجهول (كاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري / ١٢م).

[٧١] الاستبصار في عجائب الأمصار، تحيق سعد زغلول عبدالحميد، دار الشؤون الثقافية العامة: آفاق عربية، بغداد، طبعة خاصة بالمشرق العربي، ١٩٨٦م.

[٧٢] مؤلف مجهول (مؤلف أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري).

[٧٣] الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبدالقادر زمامة، الطبعة الأولى، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م(١).

[٧٤] النويري: أحمد بن عبدالوهاب (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م).

[٧٥] تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.

[٧٦] ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م).

[٧٧] معجم البلدان، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٧م، جـ٦، و جـ٧ الخاصين بالفهارس، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

(١) نشرته دار الكتب العلمية في بيروت، طـ١، صنة ٢٠١٠م، بتحقيق عبدالقادر بوباية، منسوباً لابن سماك العاملي (النصف الثاني من القرن ٨هـ/١٤م).

ثانياً: المراجع العربية الحديثة:

[٧٨] إبراهيم حركات.

[٧٩] النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، منشورات مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، (د.ت).

[٨٠] توفيق محمد الحجاج.

[٨١] صفحات من تاريخ المدن الأندلسية، الطبعة الأولى، دار الضياء، عمّان، ٢٠٠٤م.

[٨٢] حسين مؤنس.

[٨٣] رحلة الأندلس: حديث الفردوس المفقود، ط٣، الدار السعودية، جدة، ١٤٠٨ه/ ١٩٨٨م.

[٨٤] حكمة الأوسي.

[٨٥] الأدب الأندلسي في عصر الموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ت).

[٨٦] حمد بن صالح السحيباني.

[٨٧] النظم الحربية في دولة الموحدين بالمغرب والأندلس، ط١ (حقوق الطبع للمؤلف) ١٤٢٤هـ.

[٨٨] خير الدين الزركلي.

[٨٩] الأعلام، ط٩، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٠م.

[٩٠] سعد زغلول عبدالحميد.

[٩١] تاريخ المغرب العربي، الطبعة الأولى، منشأة المعارف، الإسكندرية، نشرت الأجزاء من ١ ـ ٤ سنة ١٩٩٥م، ونشر جـ٥ (الموحدون: مصامدة السوس الجباليون ورثة المرابطين) سنة ٢٠٠٠م.

[٩٢] سعدون عباس نصر الله.

[٩٣] دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ط١، بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

[٩٤] شاكر مصطفى.

[٩٥] موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، طـ١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٣م.

[٩٦] ابن الشرقي حصري أحمد.

[٩٧] ارتسامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش، حقوق الطبع للمؤلف، (د. م) (د. ت).

[٩٨] الصديق بن العربي.

[٩٩] كتاب المغرب، الطبعة الثالثة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

[١٠٠] عبدالرحيم بن سلامة.

[١٠١] المملكة المغربية: تعريف بالمدن والقرى والقبائل والأُسر والجهات، دار الأمان، الرباط، (د. ت).

[١٠٢] عبداللطيف الشادلي.

[١٠٣] معجم المصطلحات الإدارية والألفاظ العامية والأجنبية الواردة في بعض الوثائق والمؤلفات المغربية، المطبعة الملكية، الرباط، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

[١٠٤] عبدالعزيز بن عبدالله.

[١٠٥] الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارة: معلمة المدن والقبائل (ملحق ٢)، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

[١٠٦] عبدالله الجراري: عبدالله بن العباس الجراري.

[١٠٧] التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين، الطبعة الأولى، منشورات النادي الجراري (١)، مكتبة المعارف، الرباط، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

[١٠٨] عبدالله علي علام.

[١٠٩] الدعوة الموحدية بالمغرب، ط١، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٤م.

[١١٠] عبدالله الفاسي.

[١١١] الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر (نشر ضمن موسوعة أعلام المغرب)، تنسيق وتحقيق محمد حجي، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠٠٨م.

[١١٢] عبدالله كنون.

[١١٣] ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة، الطبعة الأولى، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م.

[١١٤] القاضي عياض بن العلم والأدب، الطبعة الثانية، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

[١١٥] مدخل إلى تاريخ المغرب، الطبعة الثالثة، مطبعة كريمادس، تطوان، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.

[١١٦] النبوغ المغربي في الأدب العربي، الطبعة الثانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، (د. ت).

[١١٧] عبدالله اليوسفي.

[١١٨] علماء الإسلام (التاريخ والجغرافيا) الطبعة الأولى، دار أبي رقراق، الرباط، ٢٠٠٨م.

[١١٩] عبدالمجيد بن حلون.

[١٢٠] هذه مراكش، ط١، مكتب المغرب العربي، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٤٩م.

[١٢١] عبدالمجيد النجار.

[١٢٢] المهدي بن تومرت، بيروت، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

[١٢٣] عبدالمحسن طه.

[١٢٤] الحروب الصليبية في الأندلس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (د، ت).

[١٢٥] عبدالواحد ذنون طه.

[١٢٦] دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

[١٢٧] عبدالوهاب بن منصور.

[١٢٨] أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، الرباط، جـ١، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، جـ٢، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، جـ٣، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، جـ٤، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، جـ٥، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، جـ٦، ١٤١٩، ١٩٩٨م، جـ٧، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، جـ٨، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

[١٢٩] قبائل المغرب، جـ١، المطبعة الملكية، الرباط، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

[١٣٠] عصمت دندش.

[١٣١] الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين: عصر الطوائف الثاني، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨ه/١٩٨٨م.

[١٣٢] علي صدقي أزايكو.

[١٣٣] نماذج من أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية المغربية، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، سلسلة الدراسات والأطروحات رقم (١)، ٢٠٠٤م.

[١٣٤] كمال أبو مصطفى.

[١٣٥] محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته: المغرب - الأندلس، مركز الاسكندرية للكتاب، ٢٠٠٧م.

[١٣٦] مراجع عقيلة الغناى.

[١٣٧] قيام دولة الموحدين، الطبعة الثانية، جامعة قاريونس، بنغازي، ٢٠٠٨م.

[١٣٨] محمد عبدالله عنان.

[١٣٩] الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال: دراسة تاريخية أثرية، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

[١٤٠] تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، ط٢، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٩٠ه / ١٩٧٠م.

[١٤١] عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

[١٤٢] محمد الفاسي.

[١٤٣] دراسات مغربية (من وحي البينة) الطبعة الثانية، عيون المقالات، الدار البيضاء، ١٩٩٠م.

[١٤٤] محمد بن ناصر العبودي.

[١٤٥] الإشراف على أطراف من المغرب العربي، ط٢، الرياض، دار الثلوثية، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

[١٤٦] منى حسن محمود.

[١٤٧] تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الأمير المرابطي، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٠م.

[١٤٨] المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.

[١٤٩] المصطلحات الأمازيغية في تاريخ المغرب وحضارته، مركز الدراسات التاريخية والبيئية بالمعهد، الرباط، الجزء الأول، صدر سنة ٢٠٠٤م، والجزء الثاني، صدر سنة ٢٠٠٦م.

[١٥٠] الناصري السلاوي: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن خالد بن حماد الناصري الدّرعي السلاوي (ت١٣١٥هـ/١٨٩٧م).

[١٥١] الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، اعتنى به محمد عثمان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

[١٥٢] يحيى مراد.

[١٥٣] معجم أسماء المستشرقين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية المنقولة إلى العربية:

[١٥٤] هويثي ميراندا: أمبروسيو.

[١٥٥] التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، ترجمة عبدالواحد أكمير، الطبعة الأولى، منشورات الزمن، ٢٠٠٤م.

[١٥٦] يوسف أشباخ.

[١٥٧] تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وتعليق محمد عبدالله عنان، المعهد الخليفي للأبحاث المغربية "بيت المغرب"، تطوان، (د. ت).

رابعاً: المقالات والأبحاث العربية:

[١٥٨] تمام همام تمام.

[١٥٩] الدولة الموحدية (١) مجلة الهداية، وزارة العدل والشؤون الإسلامية، البحرين، العدد ١٩٨، السنة ١٧، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

[١٦٠] جان بييرفان ستيفل وعبدالله فلي.

[١٦١] حول تحديد موقع إيكيليز هرغة حصن المهدي بن تومرت، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، العدد ٢٦، ٢٠٠٦م.

[١٦٢] حسن البوهي.

[١٦٣] جبال الأطلس الكبير الأوسط: آمال وآلام، مجلة العربي، الكويت، العدد ٦٩٤ ؛ ذو الحجة ١٤٣٧هـ/سبتمبر ٢٠١٦م.

[١٦٤] حسين مؤنس.

[١٦٥] عقد بولاية العهد لأبي عبدالله محمد المعروف بالخليفة الناصر الموحدي، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً) المجلد ١٢، الجزء ٢، ١٩٥٠م.

[١٦٦] حمد بن صالح السحيباني.

[١٦٧] الاتجاه الفكري لدعوة ابن تومرت، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد ٦، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

[١٦٨] اليسع الغافقي وجهوده في البحث التاريخي، مجلة المؤرخ المصري، القاهرة، العدد٢١، ١٩٩٩م.

[١٦٩] محمد رابطة الدين.

[١٧٠] الأسس الجغرافية للحركة التومرتية، مجلة تاريخ المغرب، الرباط، النسخة الثانية، العدد الثاني، جمادى الثانية / أبريل ١٩٨٢ م.

[١٧١] محمد العربي.

[١٧٢] الحفاظ نموذج النخبة السياسية في العصر الموحدي، مجلة أمل، الدار البيضاء، السنة الثانية، العدد الرابع، ١٩٩٣م.

[١٧٣] هويثي ميراندا: أمبروسيو.

[١٧٤] علي بن يوسف وأعماله في الأندلس، مجلة تطوان، الجامعة المغربية، كلية الآداب، معهد مولاي الحسن، تطوان، العدد ٣ و ٤، ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩م.

خامساً: المراجع الأجنبية:

D' Ferriol:
- Les Ruines de Tinmel Hesperis Librairie Emile Larosi Editeur Paris Tome II, Ann de 1922.
Goldziher: Ignaz Goldziher
- Mohamed ibn Toumert.

Lake battle between Almoravid And Almohad dynasty and its military impact on on 524 H./1130 G. Almohad Advocacy

Dr. Khalid Ali Alnajmi
Assistant Professor of History of Morocco and Andalusia Imam Mohammed bin Saud Islamic University College of social sciences
Department of History and Civilization

Abstract: Mohammed Ibn Tumart led the military operations against Almoravid dynasty, as it happened on mountain of Darn Almanea which didn't end till 524 H./1130 G. Whereas the Almohad avenger forces arrived to the Marrakech land aiming to attack the city in the light of new leadership done by Ibn Tumart to perform the task on behalf of him.

The Lake battle was done on the gates of Marrakesh as it resulted in rupture Almohad and killing a lot of men of the first line in the movement of Ibn Tumart who died after three months. There were two main events in the context of Almohad advocacy on the political level related to tribally disputes, new leadership elections, keeping the revolution unity, getting the trust in creed thoughts and principles, and on the military level represented on struggle follow with Almoravid dynasty, and get riding of defeat impact in the lake.

Death and defeat may lead to back off the Almohad dynasty, to be transient revolution which didn't impact or change anything, but how Almohad movement exceeded these crisis to follow their progress putting in mind the lesson of lake defeat.

key words: Mohammed bin Tomart/ Almohad calling/ Almowahodon/ lake battle / Discrimination/ Morocco Gates / Abdulmo'men bin Ali / Daran Mountains / Almohad caliphate.